الفكر التربوي عند الإمام الشافعي وأسس توظيفه في الواقع التربوي المعاصر

د. إسماعيل صالح الفرا د. رأفت محمد العوضي

أستاذ مشارك متفرغ أستاذ مساعد غير متفرغ

جامعة القدس المفتوحة . فرع خان يونس

ملخص البحث

ما تزال مؤسسات التعليم مقصرة في التعريف بأعلام الفكر الإسلامي مثل الإمام الشافعي وغيره ولعل هذه الدراسة تعد خطوة جادة نحو إثراء هذا المجال الأصيل؛ لتسليط الضوء على هذه الشخصية العملاقة.

وتناولت الدراسة بشكل تخصصي علماً من أعلام التربية الإسلامية وذلك بهدف إحياء مسالكه التربوية النافعة؛ لبناء نظامنا التربوي على أساسه في ضوء الموازنة مع معطيات العصر الذي يفيض بالفكر والثقافة والإبداع بالجمع بين الأصالة والمعاصرة.

والدراسة الحالية عن الإمام الشافعي– كرائد من رواد التربية – محدودة بالمقارنة بسيل من الدراسات الفقهية عبر القرون عن ذات الشخصية؛ ومعظمها تتضمن مقولات مكثفة مكررة عن حياته وأقواله، حيث تم إعطاء التحليلات التربوية والاستنباطات المرتبطة بمعطيات العصر تربوياً وثقافياً.

وخلصت الدراسة الحالية إلى أن للإمام الشافعي فكراً تربوياً يساعد على بناء تربيتنا المعاصره، فتربيتنا وتعليمنا لهما جذورهما الراسخة القابلة للتكيف والنمو، ويجدر بالتربويين الممارسين اليوم أن يقيموا جسور التواصل كالتفاعل مع تراث سلفهم بما يكفل لهم هوية صادقة، كتربية نافعة، وإضافة فكرية وافرة للأجيال القادمة من ناحية، والمفكرون في قضايا التعليم من ناحية أخرى، فميدان الفكر التربوي خصب والحاجة الفعلية له ماسة لاستكشاف وبلورة المزيد من محاسن التراث الإسلامي حتى يعم النفع للفرد، وتتم الفائدة للمجتمع، وتزدهر المعرفة الإنسانية بفكر إيجابي بناء بعيد عن التعصب والعنصرية والعولمة الضارة.

Abstract

Education institutions are still falling short of defining the figures of Islamic thought like EL Shafi'i، hence such current study is considered as a serious step towards enriching this original field to shed the light on this important character.

In specific، this study addressed one of the main Islamic Educational Characters to review his useful educational tracks to help construct our educational system in the lights of recent time developments which includes a wealth of thoughts، culture، creativity and a combination between originality and newness.

The recent study about EL Shafi'i who was one of the educational leaders was guided by a lot of jurisprudence studies through centuries which tackled the same character.

Most of these of those studies included extensive and repeated essays about EL Shafi'i's life and sayings which were followed by educational analysis and certain time culture and education deductions.

The current study revealed that EL Shafi'i had educational thoughts which help construct our resent education as our education and teaching have their own deep roots which can be adapted and developed accordingly. It is important for recent educationalists to contact their ancestors' heritage which qualifies a genuine identity of useful education with new ideas additions for our coming generations as well as educational scientists. The educational field is fertile and its actual need to explore and adapt the Islamic heritage is urgent. This is important for the individual's and society's benefit. Human knowledge with positive thoughts will also be developed away from intolerance، racism and harmful globalization

توطئة

يعاني العالم العربي اليوم من ندرة الأفكار الأصيلة فعالمنا ما يزال– غالباً– يقوم بالنسخ المباشر الذي لا صلة له بخصوصياتنا الثقافية وينطلق من منطلقات منفصلة عن هويتنا وتقع المسؤوليه على التربويين والمثقفين اكثر من غيرهم،"فاللوم يقع على مثقفينا لاسباب عديده"(سعيد،١٤٣،١٩٩٩)؛ وهذا يتطلب أن نفهم هويتنا من وحي تراثنا وواقعنا وتطلعاتنا، ونبث فيها إبداعاتنا ونهتدي إلى غاياتنا ثم نفتح أعيننا على من حولنا لنأخذ المفيد، وبذلك تمتد عملية التنوير وتستوفي شروطها ويتم بلوغ الغايات البناءة.

وليس لشجرة التربية والتعليم قيمة إن لم تكن لها جذورها الراسخة وقابليتها للتكيف والنمو، وجدير بالمعلمين اليوم أن يقيموا جسور التواصل والتفاعل مع نفائس تراث سلفهم بما يكفل لهم هوية صادقة، وتربية نافعة، وإضافة فورية وافرة. ويدرك القائمون على وضع المناهج التعليمية للأجيال القادمة والمفكرون في قضايا إصلاح التعليم أن ميدان الفكر التربوي خصب والحاجة الفعلية له ماسة لاستكشاف وبلورة المزيد من محاسن التراث الإسلامي حتى يعم النفع للفرد، وتتم الفائدة للمجتمع، وتزدهر المعرفة الإنسانية بالافكار الايجابية للمفكرين المسلمين الذين أدوا دوراً بارزاً في الارتقاء بالحضارة والنهضة الفكرية بطرق مباشرة أو غير مباشرة؛ حيث ظهرت آراء تربوية متميزة توازي – إن لم تكن أفضل– ما كتب من آراء ونظريات في التربية الحديثة.

ويعد الإمام الشافعي من أبرز علماء الإسلام ذكراً، ومن أكثرهم أثرا، وأبعدهم مدى، وما تزال أفكاره محل عناية وتمحيص لأغراض دينية وغايات أدبية، ولعل الجانب التربوي – رغم غوره العميق لم يأخذ حظه من الدراسة المنهجية الدقيقة لأن المخيلة العربية تحمل صورة الشافعي الفقيه، ويكاد يغيب عن الإفهام وساحة الإعلام شخصية الشافعي العلم صاحب الآراء التربوية الرائدة والإبداعات الفكرية الوافرة. إن ملاحظة عابرة للكتب الخاصة بالفكر التربوي الإسلامي تكشف على الفور غياب هذه القامة العملاقة من ساحة الحقل التربوي كعلم من أعلام التربية الإسلامية، وحري بنا أن لا نحرم طبقة المعلمين والمتعلمين من بعض أفكاره الرصينة في مرحلة إعدادهم لمهمتهم الجليلة؛ للاستفادة منها في حياتهم المهنية والاسريه والميدانية العملية.

لا ريب أن الشافعي علم عظيم من أعلام أمتنا (الطويل،،٢٣،٢٠٠١) فهو"فيلسوف الإسلام، ورائد التأليف المنهجي فيه"(الدسوقي، ٤٨٢،٢٠٠١) ومن الآراء السديدة لإ بن حنبل قوله"الشافعي فيلسوف في أربعة أشياء: اللغةً، واختًلاف النَّاسً، والمعاني، والفقه"(الذهبي، ج٨١،١٠، الزحيلي ٥١٢،٢٠٠٥) وهو القائل"ما أحد مس محبرة ولا قلما، إلا وللشافعي في عنقه منة"، وورد عن"عبد الله بن الفهد، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ قال يا بني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض؟". فكم من الدراسات الرصينة والأبحاث الموسعة جرت تحت عنوان فلسفة الشافعي التربوية، أو الاجتماعية، أو الثقافية، أو النفسية؟ وإنها في أحسن الأحوال دراسات محدودة إن لم تكن معدومة أو مختصرة أو مقتصرة على الأبعاد الأخلاقية التي لا تتجاوز الكتب الدينية وآداب المعلم والمتعلم، وغير قادرة على ربطها بمعطيات وأدبيات التربية المعاصرة. والقلة القليلة الموجودة من الدراسات التربوية عن الشافعي المعمقة في هذا النطاق تحتاج إلى المراجعة والتدقيق والإضافة، فكتابات الإمام الشافعي التربوية تحتمل قراءات جديدة، ونظرات متنوعة، وتحتاج إلى إمعان الفكر فيها فالإمام الشافعي الموسوعة فقية ولغوي ومفكر وتربوي. وتظل آراؤه تنير المسالك، فهي معالم مضيئة وسط دياجير الظلام المنتشرة هذه الأيام، ويقول شاكر لم يظهر مثل الشافعي"في علماء الإسلام في فقه الكتاب والسنة، ونفوذ النظر فيهما ودقة الاستنباط. مع قوة العارضة، ونور الجميعة، والإبداع في إقامة الحجة... حتى سما عن كل عالم قبله وبعده"(مقدمة كتاب الرسالة للشافعي،٤،٢٠٠٨). إن مثل هذه الشخصيات تزيدها الأيام عظمة، وتستحق أن تقوم الأجيال بتجديد الدراسات حولها، وإعادة قراءتها لترسيخ بنيان التربية وبيان منهجها ومحتواها. إن الأمة التي لا تقدر روادها تتنكب الطريق وتحرم الناشئة من نماذج مشرقة.

إن القيام بالدراسات والبحوث التربوية حول الإمام الشافعي وكشف تأثيراته الثقافية والاجتماعية والفكرية، وتحليل أبعاده بات عملا ضروريا، لأنه عمل ذو أهمية بالغة في تثقيف شعوبنا وإنهاضها بالروح الإسلامية الواعية (التميمي،٢٠٠١،٥٠٤). ويعد تراثنا الفقهي ثروة تشريعية فريدة في تاريخ البشرية (الدسوقي،٢٠١٠،٤٤٣)، وإن علم أصول الفقه وغيره من العلوم الشرعية لو التفت إليها التربويون والمهتمون بعلوم التنمية والتدريب الإنساني لوجدوا فيه من المعارف والنظريات خيرا كثيرا (عبد العزيز،٢٠١٠). وعليه فما زال تراث الشافعي في التربية ميدانا بكرا لم تمتد إليه يد الباحثين في المجال التربوي، وهذا يتطلب أن تحفز الجهود والأقلام للقيام بدراسات متواصلة وأكثر عمقا وأعظم نفعا (ملك وأبو طالب،٢٠٠٩،٣٧٨).

حتى الكتاب الكبيرالذي صدر في عام ٢٠٠٢م عن منظمة الأسيسكو(المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة) وتضمن بحوثاً ودراسات رصينة مكثفة عن الشافعي في ميادين شتى، لم يتضمن بحثاً واحداً عن الفكر التربوي عند الإمام الشافعي رغم أهمية هذا الموضوع للباحثين وعموم المربين وشريحة واسعة من المهتمين، وما تزال مؤسسات التعليم مقصرة في التعريف بأعلام الفكر الإسلامي من مثل الشافعي وغيره (رضا،٢٠٠٩،٣١) ولعل مثل الدراسة الحالية وأخواتها خطوة جادة نحو إثراء هذا المجال الأصيل.

مشكلة الدراسة

إن الدراسات الأكاديمية عن الشافعي وفكره التربوي محدودة، وتكاد تكون معدومة مقارنة بسيل من الدراسات الفقهية عبر القرون عن ذات الشخصية ومعظمها تتضمن مقولات مكثفة مكررة عن حياته وأقواله وتفتقد التحليلات التربوية والاستنباطات المرتبطة بمعطيات العصر تربوياً وثقافياً.

ومن هنا تظهر الحاجة ماسة إلى القيام بدراسة تخصصية واعية لأعلام التربية الإسلامية، وإحياء مسالكهم التربوية النافعة لبناء نظامنا التربوي على أساسه في ضوء الموازنة مع معطيات العصر الذي يفيض بالفكر والثقافة والإبداع، ومن هؤلاء الأعلام الإمام الشافعي رحمه الله.

أسئلة الدراسة

١. ما العوامل التي أثرت في فكر الإمام الشافعي؟
٢. ما أهم أفكار الإمام الشافعي في التربية والتعليم؟
٣. ما أبرز الخبرات التربوية التي استعان بها الإمام الشافعي؟
٤. ما أهم السمات التعليمية لكتابات الإمام الشافعي؟
٥. كيف يمكن توظيف فكر الإمام الشافعي في ضوء الواقع المعاصر؟

أهداف الدراسة

١. "الإسهام في تأصيل الفكر التربوي المعاصر وربطه بمصادر التربية الإسلامية وصياغة شخصية الناشئة الفكرية في ظل التوجيهات التربوية".

٢. إظهار أهم أفكار الإمام الشافعي في التربية والتعليم.

٣. رصد ونقد الممارسات الخاطئة في فهم التراث.

٥.استنباط الأسس التربوية للمواقف الجيدة من كتابات الإمام الشافعي.

٦. توظيف التراث التربوي للإمام الشافعي في إثراء الواقع المعاصر.

أهمية الدراسة

١. الدعوه إلى الاستفاده من المذاهب الفقهية التي تعد من أعظم مقومات التربية الإسلامية وهي أقرب إلى عقل وواقع الناس حيث لا يزال الفقه معينا للمسلمين في حياتهم اليومية يستمدون منه دقائق أحكام العبادات والمعاملات على حد سواء.

٢. الاهتمام بما غفلت عنه المؤسسات التعليمية من الكثير من ثرواتها العلمية المعطلة، ومن هذه الثروات المنسية الثروة التربوية العظيمة للإمام الشافعي، التي كان لها دور عظيم في تنظيم واستقرار المجتمع المسلم.

٣.الحث على الاعتناء بما يتضمنه الفقه الإسلامي من مضامين تربوية والكتابة عنها كمساق(مقرر جامعي)، حيث يعد تراث الفقهاء حصيلة فكرية قيمة تشكل المشهد الثقافي الإسلامي وتسهم في توجيه مساراته بصورة أو بأخرى على المستوى الفردي والجمعي.

٤. المساعدة على مراجعة نتاج أعلام الفقه حيث باتت عملية ضرورية لتنمية التراث الإسلامي من جهة والفكر الإنساني من جهة أخرى.

٥. تزويد المربين بمجموعة مختارة من الأدبيات التربوية المتضمنة مبادئ التربية الإسلامية.

٦.إبراز كنوزنا التربوية، حيث إنها تحتاج إلى إبراز ومزيد من العناية العربية والعالمية دعماً للمحاولات الجادة في هذا المجال.

منهج الدراسة

تتبع الدراسة الراهنة أسلوب تحليل المحتوى الكيفي لرصد وتحليل ومناقشة المضامين التربوية لآراء الإمام الشافعي ولاستنباط المعاني الكامنة فيها. ويندرج أسلوب تحليل المحتوى الكيفي في الدراسات النظرية تحت باب الدراسات الوصفية التحليلية الاستنباطية (الصالحي،وملك ٢٠٠٧،١٨)، وتستخدم الدراسة الحالية التحليل الموضوعي عبر تتبع الأفكار الرئيسة لاشتقاق القيم

والمضامين والمفاهيم والتصورات التربوية للإمام الشافعي بالاعتماد على الفكرة العامة كوحدة للتحليل والاستنباط مع تعضيد ذلك بالأدلة الداعمة.

لقد بدأ الاهتمام بتحليل المحتوى واستخدامه كوسيلة للبحث في منتصف الثلاثينيات من القرن الماضي (عمر، ٢٠٠٩، ١١٨). وينقسم تحليل المحتوى إلى تحليل كمي وكيفي (طعيمة، ٢٠٠٨،٤٣١). ومن أهم المجالات التي يتناولها تحليل المحتوى الشخصيات والرموز الوطنية والدينية، فلكل دولة من الدول وأمة من الأمم شخصياتها ورموزها الوطنية والدينية، التي تركت مآثر يشار إليها وأعمالاً يعتز بها (الخوالدة وعيد،١٩٩٧، ٢٦٨)، ويرى المؤيدون لاستخدام الأسلوب الكيفي لتحليل المحتوى أنه الأسلوب الأنسب في مثل هذه الدراسات، لأنه يسعى إلى النظر إلى المضمون بوصفه انعكاساً لظواهر أعمق، ويستخدم عادة في الموضوعات المتداخلة والمتشابكة (أبو شوشة، ٢٠٠٨، ٢٢).

حدود الدراسة

يستند البحث الراهن إلى كتابين من كتب الإمام الشافعي وهما الأم، والرسالة اللذين سيساعدا على استنتاج أفكار تربوية تعليمية تخدث عنها الإمام الشافعي إضافة إلى الشعر والنثر المنسوب إليه والمبثوث في ترجمة حياته فضلا عن الدواوين الشعرية المنسوبة للإمام. والمشكلة في شعر الشافعي أن الكثير منه ينسب له ولغيره (يعقوب،٢٠٠٤، ٣٤، وصالح،١٩٨٣، ١٤٩)، وهو أمر وارد في الأدب العربي حيث يقع اللبس في صحة نسبة بعض الأبيات إلى أكثر من شاعر.

الدراسات السابقة

ناقشت دراسة الدقر (٢٠٠٩) حياة الشافعي وأبرزت فضله، منذ مولده إلى أن وافاه الأجل، وعرض الباحث ما نقل من شهادة كبار العلماء في مختلف المذاهب والنحل مؤكدة مكانته الفريدة، شارحة عظيم صفاته الخلقية، ومراحل حياته في سبعة فصول. فبدأ الباحث بعصر الشافعي ومولده ونشأته؛ ثم ناقش أهم رحلات الشافعي العلمية، وعرضت الدراسة أسلوب المناظرة كطريقة من طرق الشافعي في تدريسه لتلاميذه. ثم تحدث الباحث عن حلم الشافعي وخفض صوته في المناظرة، ونبله في المناظرة وسمو روحه. وأكد الباحث أن مقياس تقديره للمناظِرة ليس بحيله وأحابيله، ولا بوفرة علمه ولا بجهارة صوته، وشططه في القول، وإنما بإنصافه ورغبته بالحق واستجابته للحجة والدليل.ودلل على ذلك بأمثلة من مناظرات الشافعي، وناقش الباحث الإمام الشافعي أدبه وشعره، وختم الباحث دراسته بحكم الشافعي وأدعيته وكلماته.

وهدفت دراسة أبو شوشة (٢٠٠٨) التعرف إلى أهم القضايا التربوية المتضمنة في عدد من مصادر المذهب الشافعي، ومعرفة مدى إمكانية الاستفادة من الفكر التربوي لفقهاء المذهب

الشافعي في مجال التربية في العصر الحالي. واستخدم الباحث في دراسته المنهج التاريخي، وأسلوب تحليل المحتوى. وقد خصص الباحث سبعة فصول لعرض قضايا التربية التي أسفر عنها تحليل مصادر المذهب الشافعي محل الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى نتائج عديدة منها: أعلى فقهاء المذهب الشافعي من قيمة العلم والعلماء مؤكدين فضل العلم وأهمية الاشتغال به، وقالوا بأن طلب العلم عبادة تفوق منزلتها منزلة الكثير من العبادات. لم ينتقص فقهاء المذهب الشافعي قدر العلوم الطبيعية، بل جعلوا دراستها من فروض الكفاية، كما لم يحقروا الحرف والصناعات وعدوا تعليمها من فروض الكفاية أيضا، واهتم فقهاء المذهب الشافعي بقضية التأليف العلمي، ووضعوا له من الضوابط ما يتضمن تحقيق الهدف منه والمتمثل في توسيع دائرة معارف العالَم، وأكد فقهاء مذهب الشافعي أهمية التقويم المستمر للطلاب حتى يقف المعلم أولا بأول على مدى تقدمهم ومستوى تعليمهم، كما أقر فقهاء المذهب الشافعي بأهمية اختيار المعلم لطريقة التدريس التي تتناسب مع قدرات المتعلمين وطبيعة المادة الدراسية.

وفي دراسة ملك، والكندري (٢٠٠٦) عن السبق التربوي في فكر الشافعي، توصلت الدراسة إلى الآتي، أولاً: إن الكتَّاب في ميدان التربية لم يفردوا للشافعي كتبا متخصصة في المجال التربوي تبرز أفكاره وتبين آراءه، ولم تمتد أيدي الباحثين إلى الكثير من كنوزه العلمية، والتي مازالت حبيسة كتبه أو مبثوثة في سيرته وترجمته. ثانياً: نجح الشافعي نجاحاً كبيراً في أن يتخذ من الشعر مادة ثرية يخدم بها غرضه التربوي، فجاء ديوانه الشعري صورة صادقة وتعبيراً واقعياً عن تجربته التربوية. ثالثاً: كانت نظريات الشافعي وأفكاره التربوية نبراساً هادياً ومنطلقاً قيماً لرواد التربية من بعده يقتبسون منه، كالغزالي، وابن خلدون، وابن جماعة وغيرهم حتى كان هؤلاء امتداداً طبيعياً لفكره التربوي، وكثيراً ما كانت أفكارهم مجرد صدى لآراء الشافعي. رابعاً: تقوم فلسفة التربية عند الشافعي على أساس أن العلم النافع هو الذي يستطيع أن يحقق السعادة والاستقرار للإنسان، وأن العلم في نظره عبادة. خامساً: آراء الشافعي وأفكاره التربوية ليست وليدة دراسات في الفلسفة أو في علم الكلام، كما أنها ليست ترديدا لفكر قديم شرقي أو غربي وإنما هي اقتباس من مشكاة النبوة من القرآن والسنة، لذلك جاءت فكرا إسلاميا صافيا. سادساً: الوضوح الكامل مع الإيجاز غير المخل هما السمة الغالبة على كل آراء الشافعي في المجال التربوي. سابعاً: بلاغة الشافعي وقدرته الفائقة على الإيجاز تتطلب ممن تصدى لشرح أقواله أن يعمد إلى الإسهاب والتوسع لكي يحيط بكل ما في كلماته من معاني باستيعاب ووضوح. ومن توصيات الدراسة: أولاً: النصوص الشعرية والنثرية التي يمكن أن تختار من تراث الشافعي يجب أن تدرس في المراحل التعليمية المختلفة، وأن يحرص القائمون على شؤون التعليم على أن يقروها حفظاً وتعليماً، فإنها مع دورها في التربية تنمى موهبه الحفظ وتكسب

الأدب الرفيع في التعبير وتعطي القدرة على الأداء وقدرة على العارضة، كما أنها أصول فقه وتربية وقانون وسياسة واقتصاد واجتماع. ثانياً: إن من الأمانة العلمية أن يكتب تاريخ الفكر التربوي وتطوره مع إبراز الرواد الأوائل الذين أسسوا الحركة الفكرية والتربوية لمن جاء بعدهم من أمثال الشافعي.

وهدفت دراسة صالح(١٩٨٣) إلى دراسة شعر الشافعي من الناحية الفنية، وبدأ الباحث دراسته بسرد السيرة العملية والسيرة العلمية للشافعي، وتضمنت الدراسة خمسة أبواب، ففي الباب الأول تحدث الباحث عن الإسلام والشعر، وناقش في الباب الثاني الأخلاق والشعر، وذكر في الباب الثالث بعض العوامل التربوية في شعر الشافعي مثل الرحلة في سبيل الشعر، والعلم والعلماء...أما في الباب الرابع والخامس تحدث الباحث عن شاعرية الشافعي. وأشار الباحث إلى أن الشافعي يرسم منهاجا للتدريس، ويوظفه لتحمل مسؤولية نقل التراث الفكري والحضاري للأجيال اللاحقة وبذلك يضع بين يدي طالب العلم ما يساعده على اكتساب المعرفة وتحصيل العلوم من خلال القدرات والميول التي تتوفر في طالب العلم وبذلك يؤكد الشافعي على التنشئة المنهجية السليمة. وهنا اشترط الشافعي ستة عناصر للعملية التعليمية الصحيحة في إقامة منهجه التدريسي، وهي الذكاء، الحرص، الاجتهاد، البلاغة، صحبة أستاذ، مضافاً إليها عنصر الزمن، وهذه العناصر أكد عليها علم النفس التربوي الحديث.

وفي دراسة أكاديمية موسعة للأستاذة فاطمة (١٩٨١) تحت عنوان الفكر التربوي عند الإمام الشافعي. تحدثت الباحثة في الفصل الأول عن الاتجاه الفقهي في التربية وبما أن الإسلام منهج حياة فإن الباحثة أكدت على وجود علاقة وثيقة بين الفقه وأصوله وبين التربية. في الفصل الثاني كان الحديث عن عصر الإمام الشافعي من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والثقافية. وجاء الفصل الثالث ليتحدَّث عن الإمام من حيث مولده ونشأته وفقهه وشيوخه وطلابه. في الفصل الرابع كان الحديث عن مصادر الفكر التربوي الإسلامي وموقف الإمام منها، وفي هذا الفصل وضَّحت الباحثة مصادر الفكر التربوي عند الإمام وهي كالآتي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، والإجماع، والقياس. وفي الفصل الخامس كان الحديث يدور عن الفكر التربوي عند الإمام فتحدثت الباحثة عن فلسفة التربية وأهدافها ومناهج التعليم وطرق التدريس ومراحل التعليم وإعداد المعلم. وفي الفصل السادس قامت الباحثة بدراسة مقارنة إذ خصصت الفصل بأكمله للحديث عن الفكر التربوي الرأسمالي، والشيوعي ثم قارنت المدرستين بالفكر التربوي العربي والفكر التربوي عند الإمام الشافعي، وجاء الفصل الأخير كالعادة في معظم الدراسات الأكاديمية ليضع الباحث توصياته بعد أن يلخص أهم نتائج الدراسة.

التعقيب على الدراسات السابقة

لقد أفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بناء إطارها النظري من خلال ما كتب عن حياة الامام الشافعي وفكره واسهامته الفقهية والعلمية وبعض الوقفات التربوية التى تحتاج الى مزيد من إلقاء الضوء عليها وإظهار فكره التربوي الذي تحتاجه الأمة في زمن العولمة والمتغيرات المستمرة... وهذا ما سعت إليه الدراسة الحالية.

الإطار النظري للدراسة

من حق التراث علينا أن نتعاهده بالمذاكرة الواعية، ونحي محاسنه، ونوسع مداراته، ونزيد من رصيد منجزاته من جهة، ونتجنب جميع المعوقات التي قد تنجم من إحياء أفكار لا تخدم عملية التنمية من جهة أخرى. من لم يعرف ماضيه تنكب درب حاضره، ومن لم يعرف مجد أجداده، ضيع درب أحفاده. يصف الغرب العصور الوسطى بأنها عصور الظلام، وهذه مغالطة فادحة توحي بعجز ظاهر عن قراءة التاريخ الإنساني، إذ كان الشرق حينئذ يرفل بالصحة الفكرية والنهضة الثقافية والحرية السياسية. يحق للغرب أن يغض الطرف عن شطر كبير من ماضيه لا سيما عصور محاكم التفتيش وما أدراك ما محاكم التفتيش؟ أما هنا في الشرق فلا يحق للباحثين الإعراض عن ماضيهم كله بناء على زعم البعض بوجود نواقص فيه، فالاستدراك صفة للانسان، والاستفادة من الخبرات أمر طبيعي –وخاصة– أن الخبرة الانسانية تراكمية، والزلل طبيعة بشرية، كما أن محاكمة أو محاسبة الماضي وفق متغيرات العصر ومستجداته أمر غير جائز وتنقصه الحكمة، فمن الحكمة التعامل الواعي مع التراث الإنساني وتوجيه الدراسات نحوه؛ بغية تأصيل الحاضر وتوجيه المسار إلى الطريق السليم. وهذه وظيفة مهمة للمتخصصين في الفكر التربوي فجميع الأمم تعتني بعلمائها كي يقتدي الأبناء بعبقريتهم ويقتفوا أثرهم في العطاء العلمي والاستمرار فيه.

يقدم الفكر التربوي صورة متناهية الدقة عن تعقيدات اكتنفت المسيرة التربوية عبر ومضات تاريخية تدل على تنوعها، وتطورها، وأعلامها، وعقباتها، وآمالها. وإن دراسة المعطيات التاريخية لاستحياء الحكمة واستخراج الخبرات النافعة من أهم وسائل صقل العقلية التربوية، وتوسيع الذاكرة الإنسانية. ولأن الكمال مفقود في كل حال من الأحوال البشرية فإن السعي لا يتوقف بحثا عن العلم ومسائله فضلا عن ترقية العقل والذوق ومواكبة عملية زيادة الثقافة والمعلومات والخبرات المستمرة.

ومن هنا فالتربية وظيفة بالغة الأهمية في حياة جميع المجتمعات وكافة الأمم، فهي عماد تطورها ورقيها، وهي المعنية بتنمية شخصية الفرد على نحو يمكنه من النمو المتوازن المتكامل مع ذاته، وتعينه على التكيف الإيجابي مع مجتمعه ليسهم بدور فاعل في بناء المجتمع (بحري، وقطيشات، ٢٠٠٩،١١–١٢) المحلي والعالمي.

لقد أدرك فلاسفة التربية أهمية العناية بالفكر عموماً ونادوا بضرورة تنميته واستثمار ثمراته. يقول الفيلسوف البريطاني برتراند رسل (١٨٧٢-١٩٧٠):"إن الفكر عظيم وسريع وحر، إنه نور يضئ الدنيا، وهو الدعامة الأولى في نور الإنسان". وقال دور كايم: أعتقد أنه بدراستنا الماضي باعتناء فقط، يمكننا أن نستبق المستقبل ونفهم الحاضر، وبالتالي يكون تاريخ التعليم أفضل مدرسة تربوية"(الخوري، ب.ت، ٢)، فتاريخ العالم ليس إلا سيرة الرجال العظماء، ومهما يكن الأمر فإن حياة الرواد من الذكور والإناث ذات أثر عظيم في مسيرة التربية، بل الحياة الفكرية عموماً. ولقد أدى الشافعي دوراً مهماً في بلورة الفكر الإسلامي القانوني (Shafi'i،٢٠١٠) فهو الذي قام بتدوين أصول الفقه وجمع ونظم وأصل موضوعات هذا العلم. قال بروكلمان(ب.ت، ٢٣٩)"يعد الشافعي مؤسس علم أصول الفقه، الذي يرسم المناهج وينظمها باستخراج الأحكام من أدلتها، ويحرر طرق الاجتهاد والاستنباط".

إن عودتنا إلى تراثنا التربوي الإسلامي تشعرنا أننا لا نبدأ نشاطنا من فراغ وكأننا عالة على الغير، وإنما نبني أجيال أمتنا على ثقافة أصيلة وبذلك تزداد ثقتنا بأنفسنا(النقيب،٢٠٠٤،٦٩)، ويتعين علينا أن نظل مخلصين لقديمنا ما استطعنا، فنلتمس خيره، ونجلو ما فيه من محاسن (نصار،١٩٩٦، ٦٦)، ونعالج برفق وحكمة الاختلال والإنحراف وتفند الأساطير التى تثار ضد ميراثنا السابق ومنها الرد على من لا يتفق مع أهل السنة في أن الشافعي له فضل السبق في تدوين علم أصول الفقه، فالشيعة يرون أنهم أول من أضاف هذا العلم للثقافة الاسلامية (القزويني،١٩٨٦، ٤١٢)، وللتأكد على الجهد والدور العظيم والكبير الذي قام به الإمام الشافعي- جزاه الله خيراً- ستجيب الأسطر القادمة عن اسئلة الدراسة الحالية من خلال تناولها للمحاور الخمسة الآتية:

المحور الاول: التكوين الفكري للإمام الشافعي

عاش الشافعي في العصر العباسي الأول حيث كانت الخلافة الإسلامية قوية الأركان تموج فيها التيارات العلمية وأخذت العلوم النقلية والعقلية تزدهر تحصيلاً وتعليماً وتأليفاً. نشأ الشافعي فقيراً، في أسرة رقيقة الحال، في مدينة عسقلان بقرية غزة في فلسطين حرسها الله. مثله مثل آلاف العلماء وجد في الكتاتيب بداية حسنة للولوج لعالم المعرفة، وذكر الذهبي بعض المواقف التربوية المهمه في طفولة الشافعي منها كما يقول عن نفسه"كنت يتيما في حجر أمي ولم يكن لها ما تعطيني للمعلم وكان المعلم قد رضي مني أن أقوم على الصبيان إذا غاب وأخفف عنه"، وعن الشافعي قال كنت أكتب في الأكتاف والعظام وكنت أذهب إلى الديوان فاستوهب الظهور فأكتب فيها... كانت نهمتي

في الرمي وطلب العلم، فنلت من الرمي حتى كنت أصيب من عشرة عشرة... حفظت القرآن وأنا ابن سبع سنين وحفظت الموطأ وأنا ابن عشر"(الذهبي، ٢٠٠٨، ص١١).

"فلما أخذ الشافعي رحمة الله في الفقه وحصّل منه على مسلم بن خالد الزنجي وغيره من أئمة مكة ما حصّل رحل إلى المدينة قاصداً الأخذ عن مالك بن أنس، وأكرمه مالك وعامله لنسبه وعلمه وفهمه وعقله وأدبه بما هو اللائق بهما، وقرأ الموطأ على مالك حفظاً فأعجبته قراءته، فكان مالك يستزيده من القراءة لإعجابه من قراءته، ولازم مالكاً فقال له اتق الله فإنه سيكون لك شأن"(النووي،١٩٩٦،٦٩). إن قصص الشافعي عن رحلته في طلب العلم يتجلى فيها جلال العلم والعلماء (يونس، ٢٠٠١،٥٣)، فرغم بلوغ الشافعي مرتبة الإفتاء إذ أذن له شيخه مسلم بن خالد الزنجي بذلك إلا أنه واصل طلب العلم على يد مالك بن أنس في المدينة ومحمد بن الحسن في العراق(علي،٢٠٠١، ٢٨٣).

إن المتتبع لحياة الشافعي يمكن أن يستنبط جملة عوامل ثقافية أدت دوراً حاسماً في تشكيل شخصيته، وتكوين عقليته، وبلورة مستقبله، وفيما يلي طائفة من تلك العوامل(القواسمي،٢٠٠٣،٥١-٧٥):

١. كانت والدته محبة للعلم وتحث ولدها على طلبه.

٢. حرص الشافعي على اكتشاف وتنمية طاقاته ومواهبه وعمد إلى كل الوسائل المتاحة لتطوير ثقافته.

٣. ترعرع الشَّافِعي كعادة العرب في كنف الطبيعة، فعاش زمناً طويلاً في قبيلة هذيل ينهل من أدبها ومعارفها.

٤. عصر الشافعي العصر الذهبي للدولة العباسية حيث الأمن والاستقرار، كما كان الخلفاء يشجعون العلماء في شتى الميادين ويحثونهم على المزيد من الإبداع والعطاء.

٥. وضوح رؤية الشافعي لأهدافه من أسباب تفوقه العلمي، إذ حدد الشافعي هدفه منذ الصغر وذلك بأن يكون متخصصاً في الفقه.

٦. قام كل من مسلم بن خالد الزِّنجي ومالك بن أنس ومحمد بن الحسن ووكيع بن الجراح وغيرهم بإعداد الشافعي إعداداً يليق بعالِّم يهدف إلى خدمة الدِين والمسلمين. لم يكن الزنجي مجرد فقيه، بل كان مربيا ومرشدا للشافعي علاوة على كونه معلما، وقال الشافعي! مالك معلمي وعنه أخذت العلم، وقال عن محمد بن الحسن"وإني لأعرف الأستاذية علي لمالك ثم لمحمد بن الحسن.

٧. الرِحلات العِلمِيَة إلى العراق والخبرات السِياسية في اليمن والدروس العِلمِيَّة في المدينة المنورة ومصر وسَّعت مداركه، ورسَّخت علومه، وعمَّقت علاقاته مع العلماء ومع طلاب العلم.

٨. أخذ الشَّافعي علوما متنوعة وجمع بينها، واستفاد من منهج المحدثين في قبول رِوايات (ملك،الكندري،١٨٦،٢٠٠٦). وكان يسير الليالي مسافراً بحثاً عن حديث نبوي شريف.

٩. كانت المناظرات تصقل فكر الشافعي وتوسع مداه، ووصف عصر الشافعي بأنه عصر المناظرات المثمرة (القواسمي،٢٠٠٣، ٣٣).

١٠. التدريس في مكة والعراق ومصر(The Columbia Encyclopedia)،٢٠٠٩ ، p. ٤٤١٨٣ بلور في ذهنه نظرية تربوية منبثقة من وحي الواقع وأساسيات الدين. قال أحد طلاب الشافعي"ما رأيت مجلساً قط أنبل من مجلس الشافعي كان يحضره أهل القرآن وأهل الفقه وأهل الشعر، وكان يأتيه كبار أهل اللغة والشعر فكل يتكلم منه"(النووي،١٩٩٦،٧٨)، وذكر ياقوت الحموي في معجم الأدباء"كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف".

١١. الإيمان الراسخ بأن الاجتهاد سبيل الرشاد والإصابة، وأن التقليد الأعمى أساس الفساد والغفلة.

المحور الثاني: أفكار الإمام الشافعي في التربية والتعليم

تقوم العملية التعليمية على عدة دعائم أهمها: المتعلم، والمعلم، والمنهاج، ووسيلة التعلم،والإشراف الإداري على العملية التعليمية... وهذه الدعائم متضامنة متكامله هي الأصل في نجاح كل عملية تربوية، ومن ثم نجد الإمام الشافعي قد تناول الكثير من تلك الدعائم عبر إشارات موجزة ومتفرقة في نتاجه العلمي، وفيما يلي شواهد تثبت صحة ما سبق تأصيله.

لعل أول وأهم فائدة يمكن استنباطها من مؤلفات الإمام البحث عن الحقيقة وحب العلم ورفع مكانة العلماء.اعتبر الإمام الشافعي طلب العلم طريق السعادة وأعظم عبادة فلولاه لم يعرف الإنسان الحق من الباطل. وفي هذا السياق قال"طلب العِلمِ أفضل مَنٍ صلاةً النَّافلةً". وقال أيضاً"من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم". ومن منظور الشافعي"العالم يسأل عما يعلم وعما لا يعلم، فيثبت ما يعلم ويتعلم ما لا يعلم، والجاهل يأنف من التعليم ويأنف من التعلم"(الذهبي،٣٢٦،٢٠٠٨)، وإن استخدام الإمام الشافعي لكلمتي التعليم والتعلم له دلالة تربوية معاصرة تظهر التكامل بين دور المعلم والمتعلم كما ورد عند علماء التربية من أن"عملية التعليم مجهود منظم لشخص هو (المعلم) لمساعدة آخر على التعلم هو (المتعلم)، أما التعلم فهو مجهود

شخصي ونشاط ذاتي يقوم به المتعلم نفسه بمساعدة المعلم، وتوجيهه، و إرشاده، ومتابعته"(الفرا،٢٠٠٩، ٧).

ووضع الإمام الشافعي العلماء في طليعة المجتمع فهم مصابيحه وكان يقول: لا ينبغي لأحد أن يسكن بلدة ليس فيها عالم ولا طبيب (التميمي،٢٠٠١،٥١٤)، ولأن العلم عميق بحره نادى الشافعي بأخذ طرف من المعارف (فخذوا من كل شيء أحسنه) لتنويع الثقافة، كما أنه أشار إلى أن التوسع في العلم والتخصص فيه يكشف للإنسان مدى جهله فيتواضع ويزداد تعلماً، والتواضع من غير ذلة مبدأ تنادي به التربية الاسلامية وتحتاجه الأمة في هذا العصر.

ومعظم المأثورات الواردة على لسان الشافعي تصب في باب تمجيد العلم، والتربية الحديثة تعد القيادة الفكرية القائمة على محبة العلم من أهم ركائز الشخصية، إن محبة العلم عماد الحياة المنتجة وإن المعرفة الصحيحة من المفترض أن تقود لتطبيقات سليمة تعود بالنفع على البشرية جمعاء (Razik & Swanson،٢٠٠٠).

وفي إشارة إلى الفروق الفردية، والحض على طلب العلم، والاعتصام بالإخلاص، قال الشافعي:"والناس في العلم طبقات، موقعهم من العلم بقدر درجاتهم في العلم به. فحق على طلبة العلم بلوغ غاية جهدهم في الاستكثار منه علمه، والصبر على كل عارض دون الملل في طلبه، وإخلاص النية لله في استدراك علمه نصاً واستنباطاً، والرغبة إلى الله في العون عليه، فإنه لا يدرك خير إلا بعونه"(الشافعي،٢٠٠٨،٢)، كما حذر الإمام من التقليد، وذمه فقال"وبالتقليد أغفل من أغفل منهم، والله يغفر لنا ولهم"(الشافعي،٢٠٠٨، ٦)، وفي مجال شروط طلب العلم قال:

أخي، لن تنال العلم إلا بستة سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة أستاذ وطول زمان

وتلك عناصر التعليم والتعلم الست الاساسية التى رسمت منهجية التدريس عند الإمام الشافعي، ولا يمكن بحال من الأحوال التخلى عن ركن أو عنصر منها وهذه العناصر أكدت عليها التربية المعاصرة وعلم النفس التربوي خاصة وحث عليها الإمام في زمن كانت أمم كثيرة غارقة في ظلام الجهل!!، ويرى الشافعي أن الإنسان لا يولد عالماً فالتعلم هو الذي ينمي الذكاء ويرتقي بالطبع الإنساني. قال الشافعي"الطبع أرض، والعلم بذر ولا يكون العلم إلا بالطلب، فإذا كان الطبع ماثلاً زكا ريع العلم وتفرَّعت معانيه"(البغدادي، ١٩٩٨).

ولأن طلب العلم من أركان العملية التعليمية فإن الطالب الذي يعتمد كلية على مطالعة الكتب يضل الطريق لقول الشافعي"من تفقه من بطون الكتب ضيع الأحكام"(الشافعي،٢٠٠٨،١٢٥)، ويؤكد الأدب التربوي الحديث على أن أحسن الكتب والبرامج والنشاطات المدرسيه، قد لا تحقق أهدافها مالم

يكن المعلم متميزاً ملهماً في طريقة تدريسه، وأسلوب تعليمه واستخدام وسيلته معوضاً أي نقص أو تقصير محتمل في الكتب والبرامج المدرسية.. وغيرها.

وفي مجال إعداد المعلم فحسن الخلق حياته، وشعاره، ولا يمكن بلوغ الغاية من غيره من منظور الشافعي. ويوجز الشافعي رؤيته في نصيحة نفيسة يمكن اعتبارها من روائع تراثنا التربوي ومن جوامع الكلم العربي، وذلك عندما"أدخل الشافعي يوما إلى بعض حجر هارون الرشيد يستأذن على أمير المؤمنين ومعه سراج الخادم، فأقعده عند أبي عبد الصمد مؤدب أولاد الرشيد فقال سراج للشافعي: يا أبا عبد الله هؤلاء أولاد أمير المؤمنين وهذا مؤدبهم فلو أوصيته بهم. فأقبل على أبي عبد الصمد فقال له: ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاحك نفسك فإن أعينهم معقودة فيك، فالحسن عندهم ما تستحسنه والقبيح عندهم ما تركته، علمهم كتاب الله ولا تكرهم عليه فيملوا، ولا تتركهم فيهجروه، ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه، ولا تخرجنهم من علم إلى غيره حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في السمع مضلة للسمع"(الأصفهاني،٢٠٠٩، ٤٠٤)، فلا غرو أن يذكر الأدب التربوي الحديث أن ٦٠% من نجاح العملية التعليمية ترجع إلى المعلم بينما تتوقف باقي النسبة وهي ٤٠% على عدد من العوامل منها المقررات والكتب والإداره المدرسية والأنشطة الأخرى (الفرا،٢٠٠٩،٧)، ووضع الشافعي في كلمات قليلة سر قوة المعلم المتفوق في القدوة الحسنة، وتوجيه المتعلم برفق نحو القرآن الكريم والعلوم النافعة، والتدرج في التعليم، وإيجاز التوجيهات. لقد كان الشافعي يتوخى مؤاخاة الطلبة والرفق بهم والتودد إليهم فكان معروفا بمبالغته في الشفقة على المتعلمين والنصيحة لهم (النووي،١٩٩٦،٧٠)، وكان يزور طلابه كزيارته لأحمد بن حنبل ومحمد بن الحكم. وتتفق بعض كتابات الإمام الشافعي مع"ما يذكره الأدب التربوي الحديث من الخصائص التى يجب أن يتمتع بها المعلم الفعال والمبدع والمجدد والمعلم الحرفي الماهر والخصائص الإجتماعيه للمعلم الفعال (علاونه وآخرون، ٢٠٠٨، ٥٩-٦٠)، وأشارت (فاطمة،١٩٨١) إلى أن فلسفة الشافعي في تربية الفرد تقوم على تحقيق التَّكامل من خلال الآتي:

١. التَّركيز على العلم وتعليمه مع مراعاة الفروق الفردية.

٢. الاهتمام باللغة العربيَّة.

٣. الاهتمام بالتربية العقلية والخلقية والجسمية.

٤. مراعاة طبيعة المجتمع وواقعه المعاصر فالشافعي غيرَ بعض اجتهاداته عندما استقرَّ في مصر.

وعلى صعيد التربية الاجتماعية والصالح العام، أولى الشافعي أهمية كبرى للصداقة وهذا دليل على وعي اجتماعي متقدم. طالب الشافعي الصديق بالاعتدال في مخالطة الناس حيث قال

إن"الانبساط إلى الناس مجلبة لقرناء السوء، والانقباض عنهم مكسبة للعداوة فكن بين المنقبض والمنبسط". وهنا يرسى الشافعي أساس التوسط بين القبض والبسط في التعاملات الإنسانية. وفي أثر الصحبة قال"عاشر كرام الناس تعش كريماً ولا تعاشر اللئام فتنسب إلى اللؤم"(النووي، ١٩٩٦،٧٧)، كما يؤمن الشافعي أن الصداقة ضرورة حياتية:

سلام على الدنيا إذا لم يكنٍ بًها صدِّيق صدوق صادَق الوِعدً منصِفا

إن الحديث عن الصداقة والأصدقاء، وعن العلاقات الاجتماعية يشغل صدراً واسعاً من ديوان الشافعي. ولعل مرد ذلك يعود إلى اختلاطه بالكثير من أصناف الناس على اختلاف مشاربهم، كتباين طباعهم، في محاولة استشفاف مداخلهم، وقد ساعده في ذلك دراسته أحوال الرواة، ومدى وثوق العلماء بهم، وذلك من خلال جمعه وتصنيفه الأحاديث النبوية، ولعل بعضاً مما نقرؤه في الصداقة والأصدقاء في ديوان الشافعي منتحل عليه، انتحله الرواة كيما يروج بين الناس لنسبه إلى رجل جليل مثل الشافعي، والذي يجعلنا نشك في صحة نسبه؛ التمادي في انتزاع الثقة من الإخوان والأصحاب والأصدقاء، وسوء الظن بهم، والطعن الصريح بسلامة نياتهم، وهي ظاهرة لها خطورتها بوصفها صادرة عن رجل لا يقول إلا ما يؤمن به، ويهمه من أمر المعارف والناس والوجوه النيرة والمطالع المشرقة من تلك الشرائح الاجتماعية (صالح،١٤١،١٩٨٣).

ولأهمية موضوع الصَّداقة فإن الشافعي في شعره خاصَّة ونثره عامَّة فصَّل القول في خصال الصَّديق الصَّالح وقرَّر أن الصَّديق الصَّادق الذي يغض الطرف عن العثرات، ويحفظ حق صاحبه في الحياة والممات، و يرافقه ويوافقه في كل أمر يريده ما لم يكن الأمر من المحرَّمات، كما يقف الصاحب مع رفيقه في الأزمات. ومن صِّفته حب العلم وغني النَّفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، وكسب التَّقوى، والثِقة بالله على كل حال، والسَّخاء، والتَّواضع، والأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، والمحافظة على حدود الله تعالى، ولين الجانب، ورحابه الصَّدر، وبشاشة الوجه، وخفض الجناح. ولأن الإنسان خطَّاء فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته فهو الصَّاحب المقبول الذي يمكن اختياره.

كان الشافعي يعلم طلابه وأصحابه العلم والتحصيل الدراسي مقرونا بتعليم مهارات الحياة الأخلاقية. قال الشافعي ذات يوم لأحدهم في نصيحة طويلة عن الصداقة جاء في مقدمتها:"إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادر بالعداوة وقطع الولاية، فتكون ممن أزال يقينه بشك، ولكن ألقه وقل له: بلغني عنك كذا وكذا، وأجدر أن تسمى المبلغ، فإن أنكر ذلك فقل له أنت أصدق وأبر، ولا تزيدن على ذلك شيء..."(الأصفهاني،٢٠٠٩، ١٦٠٩)، وقال"رضا الناس غاية لا تدرك، فانظر ما فيه صلاح نفسك في أمر دينك ودنياك فألزمه". شأنه شأن أي عالم مسلم كان للأخلاق نصيبُ واضحٌ في تعاليم الشافعي فالغاية السامية للتربية تهذيب الأخلاق لترسيخ دعائم العدل. قال الشافعي:

إذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى وسيرته عدلاً وأخلاقه حسنا

فبشره أن الله أولاه نقمة يساء بها مثل الذي عبد الوثنا

في البيتين السابقين وضع الشافعي هدف التربية الإسلامية بإقامة العدل فالذي يقوم بالقسط يعرف حق ربه عليه، ويعمد إلى الأخلاق الحسنة ليتعامل مع البشر. التربية بالعمل الصالح نعمة وبلا عمل نقمة وحجة على صاحبها. التربية النافعة تؤثر على كيان وجنان وأركان الإنسان فتهديه لصالح الأعمال وتجنبه المهالك.

لا يستغنى الحصيف عن مراجعة الذات. ولعل فلسفة الشافعي التربوي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالبيتين التاليين:

يعيب النَّاس كلهم الزَّمانا وما لزمانًنا عيب سوانا

نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إًذا هجانا

خير ما يمكن أن نقدمه للناشئة اليوم أن الناجح هو الذي يتوقف تماماً عن لوم الآخرين والابتعاد عن لعب دور الضحية والمظلوم (Covey،٢٠٠٨، p. ٢٣) حتى لا نخسر المستقبل ولا نضحي بمصيرنا. إن الخطأ ليس في العصر، بل في البشر. إننا في الغالب الأعم لا ندين أنفسنا ولا نحاسبها بانتظام، ولكن نلوم للأسف من حولنا وقد نذمهم بانتظام، ولو كان بصرنا حديداً لأبصرنا تقصيرنا أولاً، وسوء تدبيرنا ثانياً. إن البصير الذي يحاسب نفسه قبل أن يعاتب غيره فمن أصلح نفسه سهل الله دربه وسدد خطاه. وبناءً على ما سبق، فإن من أهم مفردات تحمل المسئولية محاسبة النفس وفي هذه الرحلة يفكر المرء بشكل مستمر بما يمكن أن يقدم وما الميادين التي يمكن أن يخدم بها وكيف يحقق النجاح. من أهم مبادئ الحياة محاسبة النفس لدفعها نحو المزيد من الانجاز (Connors، R، Smith، T، & Hickman، ٢٠٠٤، p. ١٣). إن تحمل المسئولية من أهم واجبات وحقوق الإنسان. قال تعالى"إِن اللّه لا يغير ما بقوٍم حتى يغيروا ما بأنفسهم"(الرعد:١١).يمتلك كل فرد قدرة وإرادة لتهذيب نفسه على مستوى النفس، والاعتقاد، والفكر، والسلوك ولا تنفع الاستطاعة في تغيير المستويات الثلاثة (المستوى الفكري والنفسي والسلوكي) إذا لم تكن رغبة التغيير صادقة، وطرقها صحيحة. وبالعلم النافع والإرادة والإيمان يمكن بلوغ الغايات.

إن الشواهد السابقة وغيرها كثير تثبت بأن نثر وشعر الإمام الشافعي يتضمن الكثير من المبادئ التربوية (فلمبان،١٩٨٨) النفسية والاجتماعية والدينية والثقافية التي ما تزال لها قيمة في حياتنا اليومية.

ويستنتج من كتابات الإمام الشافعي أنه يؤكد على ضرورة طلب العلم وتقدير العلماء واحترامهم والاهتمام بالتعليم والتعلم، والسؤال عند الحاجة، ومراعاة الفروق الفردية، واتقان التعلم

فقال قاعدة تربويه راسخة:"العالم يسأل عما يعلم وعما لا يعلم، فيثبت ما يعلم ويتعلم ما لا يعلم. والجاهل يأنف من التعلم ويأنف من التعليم"وأكد على الاهتمام بالتربية الفعلية والعملية والخلقية والجسمية للمتعلم، وجعل غاية التربية السامية تهذيب الأخلاق كما اهتم باللغة العربية واتقانها. واهتم أيضاً بما يعرف في هذا العصر بالتقويم المعاصر من خلال مراجعة الذات ومحاسبة النفس وتحمل المسؤلية وبالتغيير المرتبط بإرادة الفرد وفكره السليم.

المحور الثالث: وسائل التربية عند الإمام الشافعي

استخدم الشافعي وسائل تربوية عديدة وعمل على تطبيقاتها، فقد اهتم بمراعاة قدرات المتعلم الفرد وبأصحاب القدرات الخاصة فيقول الشافعي لأحد تلاميذه"يا ربيع، لو أمكنني أني أطعمك العلم لأطعمتك"، وكان ربيع بطئ الفهم فكرر الشافعي عليه مسألة واحدة أربعين مرة فلم يفهم وقام من المجلس حياءً، فدعاه الشافعي في خلوة وكرر عليه حتى فهم (السبكي،٢٠٠٩).

وكانت الرحلة في كتب الشافعي إليه من الآفاق نحو مائتي رجل وقد كاشفه الشافعي بذلك حيث يقول له فيما روى عنه أنت راوية كتبي". هكذا كان صبر الشافعي مع طلابه فتحققت مطالبه ونال مبتغاه.

وعلى مستوى طلب العلم، أوجز الشافعي القول في فوائد الرحلة في طلب العلم في بيتين من الشعر فقال عن مكاسب السفر:

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلا وسافر ففي الأسفار خمس فوائد

تفرج هم، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجد

فالامام الشافعي يؤكد على أهمية الرحلة وفوائدها النفسية والعلمية والأخلاقية والاجتماعية الاقتصادية وفي هذا تأكيد على اكتساب الخبرة المباشرة الميدانية المقترنة بالبحث والمناقشة والاستفسار... وتحتل الرحلة مكانة مهمة في التربية الاسلامية لما لها من فوائد عديدة وشعرت بأهميتها التربيه الحديثه ومن جهة أخرى، وجد الشافعي المناظرة وسيلة عجيبة لتوصيل الأفكار وترسيخها في الأذهان، والغرض من المناظرة عند الشافعي البحث عن الحقيقة لا كسب المواقف، والانتصار للنفس، وإفحام الخصم، واستعراض المواهب. وقال: المراء في العلم يقسي القلب ويورث الضغائن، وقال: ما ناظرت أحداً قط على الغلبة، وفي رواية ما ناظرت أحداً قط إلا على النصيحة. ومن آداب المناظرة ما قاله ابن الشافعي"ما سمعت أبي ناظر أحدا قط فرفع صوته"، وقال الشافعي وددت إذا ناظرت أحداً أن يظهر الله الحق على يديه"(النووي،١٩٩٦،٧٤)، ولأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية نجد الشافعي في نهاية إحدى المناظرة يذكر بهذه القاعدة المذهبية فيقول"ألا

يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة". عرف الشافعي أن المحكات الكلامية لا تصل إلى خير، بل تقسي القلب، وتضيع الأوقات، وتفوت الفرص الثمينة؛ لهذا نجده يرفض تحويل المناظرة إلى حلبة تصارع فيوصي بحسن الخلق خاصة ساعة المناظرة فيقول:

أحب مكا رَم الأخِلاق جهدِي وأكره أن أعَيب وأن أعابا

وفي هذا السياق أيضا تتألق توجيهات الشافعي التي قال فيها:

إذا ما كنت ذا فضِل وعَلِم بما اختلف الأوائل والأواخر

فناظر منٍ تناظر في سكون حليماً لا تلح ولاتكابر

يفَيدك ما استِفاد بَلا امتنَان مَن النكتَ اللَّطَيفةَ والنَّوادَر

وإياك اللَّجوج ومنٍ يرائي بأنيِ قد غلبت ومن يفاخر

"قيل للشافعي: أخبرنا عن العقل يولد به المرء؟ فقال: لا ولكنه يلقح من مجالسة الرجال ومناظرة الناس". إن المناقشات الرصينة، والحوارات الهادفة ذات قيمة رفيعة في عصرنا وجميع العصور لأنها توسع الأذهان وترتقي بها، وتدرب الفرد على تلاقح الأفكار، وتكسبه مهارات التحدث والمناقشة وتزيد من ذكائه اللغوي. قيل"للشافعي من أقدر الناس على المناظرة؟ فقال: من عود لسانه الركض في ميدان الألفاظ، ولم يتلعثم إذا رمقته العيون بالألحاظ، ولا يكون رخي البال قصير الهمة فإن مدارك العلم صعبة لا تنال إلا بالجهد والاجتهاد، ولا يستحقر خصمه لصغره فيسامحه في نظره، بل يكون على نهج واحد في الاستيفاء والاستقصاء لأن ترك التحرز والاستظهار يؤدي إلى الضعف والانقطاع"."أحسن الاحتجاج ما أشرقت معانيه، وأحكمت مبانيه، وابتهجت قلوب سامعيه"(البغدادي، ١٩٩٨).

وللشافعي نصيب كبير في فنون الوعظ والنصح فلقد وظف بيانه الساحر في ترقيق القلوب ونشر الفضيلة، ومن مواعظه:"كن في الدنيا زاهداً وفي الآخرة راغباً واصدق الله تعالى في جميع أمورك تنج غداً مع الناجين، وقال: من كان فيه ثلاث خصال فقد أكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر به ونهى عن المنكر وانتهى عنه وحافظ على حدود الله تعالى...".."وقال له رجل أوصني فقال: إن الله تعالى خلقك حراً فكن حراً كما خلقك". وقال:من سمع بأذنه صار حاكياً، ومن أصغى بقلبه كان واعياً، ومن وعظ بفعله كان هادياً"(النووي،١٩٩٦،٧٧).

هذه المواعظ وغيرها تتضمن معاني غاية في الروعة كقوله: إن الله تعالى خلقك حراً فكن حراً كما خلقك فلا ريب أن هذه المعاني تزرع العزة في نفس المتعلم، فلا يذل نفسه لأحد سوى الله ويجاهد من أجل حريته الصحيحة وحرية بلده وأمته. كانت مواعظ الشافعي تتدفق حتى عندما كان في مرض موته ودون طلابه معظم تلك المواعظ(الذهبي، ٢٠٠٨،٣١٤)."وليس كل ما يعرف يقال

في الملأ لهذا قال الإمام من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه (النووي،٧٦،١٩٩٦).

وفي ظل السياق السابق استخدم الشافعي القصة أيضا ورغم قلة قصص الشافعي إلا أنها ذات قيمة عالية لا سيما تلك الروائع التي رواها عن طلبه العلم فإن قصص الشافعي عن طلبه للعلم في طفولته وشبابه من القصص التعليمية الجيدة في الأدب العربي، وقص كذلك محنته وأزمته السياسية في اليمن من جهة، وما حصل له في رحلاته من مواقف طريفة من جهة أخرى، ومن ذلك قوله"كنا في سفر في أرض اليمن، فوضعنا سفرتنا لنتعشى، وحضرت صلاة المغرب، فقمنا نصلي، ثم نتعشى، فتركنا السفرة كما هي، وقمنا إلى الصلاة، وكان فيها دجاجتان، فجاء الثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا الصلاة، أسفنا عليها، وقلنا حرمنا طعامنا فبينما نحن كذلك، إذ جاء الثعلب وفي فمه شيء كأنه الدجاجة فوضعه، فبادرنا إليه لنأخذه ونحن نحسب الدجاجة قد ردها، فلما قمنا جاء إلى الأخرى وأخذها من السفرة وأصبنا الذي قمنا إليه لنأخذه فإذا هو ليف قد هيأه مثل الدجاجة"(الدميري،١٧٠،٢٠٠٩).

وفي نطاق العقاب البدني كوسيلة تربوية فإن الشافعي يرى أنه يمكن تأديب الأطفال من غير

الضَّربً. يعتقد كثير من الخبراءأن العقاب البدني كاختيار أخير غالبا لا يحل المشكلات، بل يعقدها فلا يتحسن السلوك (ملك،٢٤،٢٠٠٩، وابو شوشة،٢١٧،٢٠٠٩). قال الإمام الشافعي في كتابه الأم(ص١٥٢٥) وهو يتحدث عن الحياة الزوجية:"ولو ترك الضَّرب كان أحب إلي لقول النبي صلَّى اللَّه عليه وسلَّم { لنٍ يضرِّب خَياركم}. وقال"الاختيار ترك الضرب"(ص ٢٣٦٦). إن أساليب التهديد والوعيد والعقاب والضرب ثبت بطلانها في الغالب، بل إن أساليب العقاب البدني عموما ما تضر بنفسية الطفل وتأتي بآثار عكسية (Ravi،٢٠٠٩ ،٨٤ .p)، و تسبب المزيد من الإمعان في عناد الطفل وتعنته وسوء سلوكه (عماشة،٨٨،٢٠٠٩).

قال الشافعي في كتابه الأم (ص٤٨):"فإذا بلغ الغلام الحلم والجارية المحيض غير مغلوبين على عقولهما أوجبت عليهما الصلاة والفرائض كلها، وإن كانا ابني أقل من خمسة عشرة سنة وجبت عليهما الصلاة وأمر كل واحد منهما بالصلاة إذا عقلها فإذا لم يعقلا لم يكونا كمن تركها بعد البلوغ وأدبهما على تركها أدبا خفيفا". والشافعي يفضل الابتعاد عن العقاب البدني لقوله في كتابة الأم:"ومعلم الكتاب والآدميين مخالف لراعي البهائم وصناع الأعمال لأن الآدميين يؤدبون بالمولاة فيتعلمون وليس هو ذا مؤدب البهائم، فإذا ضرب أحداً من الآدميين لاستصلاح المضروب أو غير استصلاحه فقتل فكانت فيه دية على عاقلته والكفارة في ماله والتعزير ليس بحد يجد بكل

حال"(ص٢٣٠٥،ص١٥٥٩) ولذلك ضيَّق الشافعي من باب العقاب البدني فالمعلم ضامن لسلامة المتعلم ومسئول عن عواقب العقاب البدني.

وهكذا نجد الإمام الشافعي مارس أساليب ووسائل تساعد على التربية والتعليم فقد اهتم بتعليم المتعلم وفق قدراته واستعدادته، وإن طلب العلم يحتاج إلى جهد واجتهاد من المعلم والمتعلم وحث على الرحلة المفيدة علمياً ونفسياً واقتصادياً واجتماعياً، وأكد على أهمية المناظرة العلمية والحوار الهادف، والبعيد عن المرآء، فالعلم عنده مقرون بالأخلاق.

ولقد استخدم الامام أسلوب الوعظ والنصح كأسلوب تربوي فعال ولم يهمل القصة للتوضيح والسرد والربط بالواقع، وكل ذلك يدل على تقديره لعقل الانسان وتنميته بالسؤال والحوار لأنه وسيلة العلم والمعرفه ونظر إلى العقاب وتأديب الطفل نظرة عميقة وسليمة تتماشى مع نظرة التربيهة الحديثة المعتدلة.

المحور الرابع: السمات التعليمية لكتابات الإمام الشافعي

أورد القرطبي في تفسيره أن"القلم نعمة من الله تعالى عظيمة، لولا ذلك لم يقم دين، ولم يصلح عيش". والحق أن الكتابة من أهم وسائل الحضارة والتربية والتعليم. إنَ المنهج الذي سار عليه سلفنا وبه أوجدوا تراثنا ينبع من فلسفة تؤمن بأن العلم ينسي بعضه البعض وأن الكتابة قيد للعلم الذي صوَّروه بأنه يشبه الصَّيد وعلى طالب العلم أن يقيد صيوده بالحبال الواثقة وهي الكتابة الواعية. ورد في الحديث النبوي الشريف قَّيدوا العلم بالكتاب (نصراالله، ٢٠٠٨،٢٤٤). قال الشافعي بعد أن التقط واستلهم روح الحديث النبوي السابق:

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين الخلائق طالقة

ليس القصد من تقييد العلم تسويد الورق وإجهاد النفس بلا جدوى، بل اقتناص الفرص بغرض الاستفادة. كان الشافعي في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده (النووي، ج١،٩٦) لهذا آمن بأن الكتابة وسيلة من وسائل التعليم، وأسس مذهبه وفقا لذلك وحض طلابه على الكتابة كسلوك حضاري. ولقد اختط الشافعي لنفسه خطا تعليميًا في التأليف حيث وضع على عاتقه تبسيط كتابته دون تسطيح للمعاني. قال الربيع سمعت:"لو رأيت الشافعي وحسن بيانه وفصاحته، لعجبت، ولو أنه ألف هذه الكتب على عربيته التي كان يتكلم بها معنا في المناظرة، لم نقدر على قراءة كتبه لفصاحته، وغرائب ألفاظه، غير أنه كان في تأليفه يوضح للعوام"(الذهبي، ٢٠٠٨،٣١٨، والطويل،٢٠٠١،٢٦).

يقول أحد طلاب الشافعي"خرج علينا الشافعي ذات يوم ونحن مجتمعون فقال لنا:"اعلموا رحمكم الله أن هذا العلم يند كما تند الابل فاجعلوا الكتب له حماة والأقلام عليه رعاة"(الخطيب البغدادي،١١٤). فالكتابة حقا وصدقا قيد أمين للفكر الثمين، بل طريقة للتقرب لله سبحانه، وخير طريقة لتنظيم الأفكار وتحليلها. قال أحد علماء الشافعية"ينِبغَي أن تتَّخذ كتابة العلم عبادة سواء توقَّع أن يترتب عليها فائدة أم لا وأنا بما اكتبه بهذا القصد"(فتاوى السبكي،٢٠٠٩).

إن الوقوف على كتابي"الرسالة"و"الأم"وسائر المأثورات عن الإمام الشافعي يهم المشتغلين بالتأليف لأنها تشمل على خطوط للمنهج العلمي الذي وضعه الشافعي في طلب العلم والحصول على الثقافة والمعرفة للقارئ العادي أو الدارس المتخصص، وبذلك شق طريقاً يقوم على أسس علمية منهجية في طريقة البحث الموضوعي ومناهجه وبذلك سبق علماء الغرب وباحثيهم في وضع أصول البحث، كما سبق علماء النفس التربويين في تنظير وتقنين وتقعيد أساليب المناهج التربوية والنفسية الحديثة من وجهة نظر بعض الباحثين (صالح،١٢٩،١٩٨٣).

ومن فنوف الكتابة التي رسخ الشافعي قواعدها ويجب أن لا تعزب عن ذهن المعلم قاعدته في الايجاز والاختصار في الحديث والكتابة. سئل الشافعي ما البلاغة؟"قال: البلاغة أن تبلغ إلى دقيق المعاني بجليل القول، قال فما الأطناب؟ قال البسط ليسير المعاني في فنون الخطاب، قال: فأيما عندك أحسن الايجاز أم الإسهاب؟ قال: لكل من المعنيين منزلة، فمنزلة الإيجاز عند التفهم، ومنزلة الإسهاب عند الموعظة، ألا ترى القرآن الكريم إذا احتج في كتابة كيف يوجز، وإذا وعظ كيف يطنب وإذا جاءت الموعظة جاء بأخبار الأولين، وضرب الأمثال بالسلف الماضين"(البغدادي، ١٩٩٨).

ولقد استوعب فقه الشافعي كل مجالات علاقة الإنسان بخالقه، وعلاقة الإنسان بغيره من الكائنات"(الدسوقي،٤٤٥،٢٠٠١)، وتطرقت كتب الشافعي لموضوعات دينية وأحوال شخصية ومجتمعية مهمة فكتب عن العلم، وباب الخير الواحد، وباب الاجماع، وباب الاجتهاد، وباب الاستحسان وباب الاختلاف، والطهارة، والصلاة، وكتاب الصيد، وكتاب النذر، والبيوع، وكتاب الفرائض، وكتاب الجزية، وباب الأقضية. وحينما يقرع سمع الإنسان اسم كتاب الأم للشافعي تتوارد وتتواتر الخواطر في النفس من عظمة هذا الاسم فالأم أصل، والأم مجموع والأم أساس والأم فوق ذلك رحمة وحكمة. تلك الموضوعات التي كتب لها الخلود والتي يقوم عليها ميزان الوجود طرحها الإمام الشافعي بأسلوب تربوي يصلح أن يكون قبساً ونبراساً لكل معلم وكاتب ومفكر وكل من يريد أن يقرب أطروحاته للناس، وفي هذه الكلمات آفاق جديدة لقراءة كتب الشافعي من الزاوية التربوية

وللاستفادة منها عمليا. لا ريب أن الفارق الزمني قد يسبب بعض الغموض لعامة الناس في فهم كتب الماضي إلا أن خصوصية لغتنا العربية وخصوبتها من عوامل التغلب على تلك العقبة.

فيما يلي طائفة من الآليات والسمات التربوية والتعليمية التي يمكن استنباطها من كتابات الشافعي:

استخدام أسلوب المثال

المثال يقرب البعيد، ويسهل الصعب، ولقد استخدم الشافعي في مؤلفاته ومصنفاته هذا اللون فهو يضرب الأمثلة لكثير من القواعد التي يعرضها للشرح ويذكرها للتوضيح يقول الشافعي في كتابه(الشافعي،١١٢،٢٠٠٨):"فجماع ما أبان الله لخلقه في كتابه، مما تعبدهم به، بما مضى من حكمه جل ثناؤه من وجوه فمنها ما أبانه لخلقه نصاً مثل جمل فرائضه، في أن عليهم صلاةً وزكاةً وحجاً وصوماً وأنه حرَّم الفواحش، ما ظهر منها، وما بطن، ونص منها: (بمعنى ذكر) الزنا والخمر، وأكل الميتة والدم، ولحم الخنزير، وبيَّن لهم كيف فرِض الوضوء، مع غير ذلك بما بين نصاً". وهكذا كان الشافعي يبسط العلم لطلابه وقرائه على حد سواء فيضرب الأمثلة ويطنب فيها لتقريب الفكرة وشرحها وكان يطرح الحقائق ثم يضرب الأمثلة فيقول في كتابه (الأم،١٥٩٥،١٩٩٠)،"وسأمثل لك من قول كل فرقة عرفتها مثالاً يدل على ما وراءه إن شاء الله تعالى"، وعندما يتكلم الشافعي عن صيغ البيوع وكتابتها يذكر أمثلة فرضية توضيحية لكيفية صياغة العقود التجارية، والمعلم الناجح هو الذي يقرب الحقائق بأمثلة حية.

واستخدم الشافعي المثال لتقريب المعاني في كثير مما كتب حيث يطرح الحقائق في قالب مسائل، ومن قبيل تصوير الحقائق بالمسائل عند الشافعي من كتابة الأم"إذا كان الرجل مسافراً وكان معه ماء، فظن أن النجاسة خالطته فتنجس، ولم يستيقن فالماء على الطهارة وله أن يتوضأ به ويشربه حتى يستقين".

وقوله"ولو اضطر رجل فخاف الموت، ثم مر بطعام الرجل لم أر بأسا أن يأكل منه ما يرد جوعه ويغرم له ثمنه"."إذا اشترى الرجل أصنافا من الثمار قبل أن يبدو صلاحها فالبيع فاسد"."وإذا كسر الرجل صلب الرجل فمنعه أن يمشي بحال فعليه الدية". من المعلوم أن مدرسة الفقه الحنفي في العراق كانت تتوسع في الأمثلة والفرضيات إلى أبعد الحدود، ولعل الشافعي أخذ بقبس من ذلك.

استخدام الأدلة والبراهين

ومن الأساليب التي يغفل عنها الكثير من المربين والكتاب والباحثين أسلوب عرض الحقائق المقرونة بالأدلة الموثقة بالأسانيد. أمتنا أمة دقة الأسانيد وأمانة المتون. كلام بلا سند كبيت بلا عمد. إن الكلام العلمي والأسلوب المنهجي الذي يبني على قوة الإقناع يجب أن يكون مسنداً

موثقاً كي يحمل النفس على اليقين والتسليم والشافعي في كل ما نقل يعتمد على ما صح خبره لديه وعندما يتحدث كذلك يذكر الحديث والقول بأسانيد وأحاديث تثبت صحة النقل فيعطي القارئ والسامع الثقة والارتياح لما يأخذ ويتعلم، وكان من ثمار هذا المنهج الرائد كتابة مسند الشافعي الذي جمعه البيهقي ولولا الأسانيد التي حرص على تسجيلها وتتبعها الإمام في كتبه لم يمكن توثيق تلك الأحاديث. قال النووي(١٩٩٦،٧١) وهو يمدح منهج الشافعي"بالأحاديث الصحيحة وإعراضه عن الأخبار الواهية والضعيفة، ولا أعلم أحداً من الفقهاء اعتنى في الاحتجاج بالتمييز بين الصحيح والضعيف كاعتنائه ولا قريباً منه". وقال الشافعي إذا صح الحديث فهو مذهبى، وقال: إذا لم يصح الحديث فاضربوا بقولي عرض الحائط"(الذهبى،٢٠٠٨،٣٢٢).

وصحة الأسانيد درجات لقول الشافعي:"ولا يسع شاهداً أن يشهده إلا بدا علم والعلم من ثلاثة وجوه منها ما عاينه الشاهد فيشهد بالمعاينة، ومنها ما سمعه فيشهد ما أثبت سمعاً من المشهود عليه، ومنها ما تظاهرت به الأخبار مما لا يمكن في أكثره العيان وتثبت معرفته في القلوب"(الشافعي،١٩٩٠، ١٧٥٨).

لم يكن الشافعي يبالي أين ظهر الحق أو من القائل به المهم أن يسعى إليه وينصاع له طالما أنه ارتبط أو اتبع بالدليل، الدليل الصحيح قرين الصدق. قال الشافعي: مثل الذي يطلب العلم بلا حجة كمثل حاطب ليل، يحمل حزِمة حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري"(الشنقيطي،١٩٩٦،١٥٤).

إن تنمية التفكير الناقد من أهداف التربية منذ سقراط إلى جون ديوي وهنري جيرو وإيفان إيليش فإن التربية الجيدة هي التي تنمي التفكير العقلاني الناقد بهدف توجيه السلوك وتنمية التفكير الناقد قدرة على التحليل والتقويم والاعتماد على المصادر الصحيحة (العياصرة،٢٠١٠،٦١٤)، والخروج باستنتاجات جيدة فلا يملك الباحث ناصية الصواب بل يبذل الأسباب الموضوعية للوصول إلى بعض النتائج.

شرح المفردات

ومن الأساليب الملفتة لنظر قارئ كتب الشافعي الاهتمام بتعريف وشرح الكلمات التي قد ترد في البحث والتي قد يبنى على فهمها موضوع الدرس. وإن تحديد المصطلحات له أثر كبير في وضوح الأبحاث، وتوصيل الأفكار على نحو دقيق. فالمصطلحات هي كلمات مهمة في سياق البحث لها معان محددة عند مجموعة من المختصين في علم من العلوم أو مجال من المجالات. قال فولتيمر إذا كنت ترغب في المعرفة، عرِف ما تقول وحدِد قولك (ديورانت،٢٠٠٤،٥٨)، ولقد ألف الجرجاني كتاباً فقط للتعريفات.

حاول الشافعي تعريف الغامض في خطابه فنجده مثلاً يقول"قلت فما القياس؟ أهو الاجتهاد أو مفترقان؟ قلت:هما اسمان لمعنى واحد"(الشافعي،٢٠٠٨، ٥٨)، وفيما يلي بعض الكلمات والتعريفات التي كان الشافعي يحرص على تعريفها بوضوح قبل الولوج في مبحثه"والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت علي كظهر أمي"(الأم)؛ ثم يوضح هذا المفهوم بعد تعريفه النظري ويقول:"فإذا قال لها: أنت مني كظهر أمي، أو أنت معي، أو ما أشبه هذا كظهر أمي، فهو ظهار"(الشافعي،١٩٩٠). وقبل أن يتكلم في مبحثه عن حكم إجابة الدعوة للولائم قام بتعريف الوليمة وتحديد هذا المصطلح"والوليمة التي تعرف وليمة العرس، وكل دعوة كانت على إملاك، أو نفاس، أو ختان، أو حادث سرور، دعي إليها رجل فاسم الوليمة يقع عليها"(الأم)، وفي بداية باب نكاح الشغار يذكر نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن الشغار، ثم يقول:"والشغار، أن يزوج الرجل ابنته الرجل على أن يزوجه الرجل الآخر ابنته وليس بينهما صداق"(الشافعي،١٩٩٠، ١٧٤)، وعندما يتكلم عن البحيرة والوصيلة والسائبة واللحام يقوم بتعريف كل كلمة.

ويقول الحصور"الذي لا يأتي النساء"(الأم). والعكوف في المساجد: صبر الأنفس وحبسها على عبادة الله تعالى وطاعته، وكان الشافعي أحياناً يربط التعريف بشاهد لغوي من الشعر العربي.

التعليق الموجز

والملاحظ كذلك من كتب الشافعي الترغيب والتعقيب إذ أنه حينما يفرغ من شرح الحقيقة يعلق ويقدم رأيه الشخصي وميله النفسي وفهمه التربوي، يقول الشافعي:"ومن أوصى له الميت من قرابة وغيرهم جازت الوصية، إذا لم يكن وارثاً، وأحب إلي لو أوصى لقرابته"(الشافعي،٢٠٠٨)، والمعلم الناجح هو الذي يقتنص الفرص في توجيه الطلاب لما يفيدهم، ويظهر رأيه فيما يقدم ويشرح من حقائق فيتعلم المتعلم كيف يكون رأيه الشخصي تجاه القضايا والأمور التي يتعامل معها بالدرس،- فيعلق الشافعي قائلاً- فعلى المعلم أن يرغب إلى أقوال الخير، ولا يكتفي بالواجبات فحسب، بل يشوق تلاميذه إلى المستحبات. قال الشافعي"وأنا أحب كل ما حكيت في هذه الليالي من غير أن يكون فرضا"، وذلك في معرض حديثه عن قيام الليل، وعن السؤال يقول"وأستحب السواك عند كل حال يتغير فيه الفم"(الشافعي،١٩٩٠)، ويقول"ونحن نحب لمن أصاب الحد أن يستتر، وأن يتقي الله عز وجل، ولا يعود لمعصية الله، فإن الله عز وجل يقبل التوبة عن عباده"(الشافعي،١٩٩٠)، وفي العقوبة يفضل الشافعي اللجوء إلى طرق عقابية بعيدة عن الضرب ويوضح رأيه بصراحة.

أسلوب الأسئلة والمحاورة

السؤال من أسهل وأسلس الطرق لفتح الدرس، وجذب الطلاب، وتجديد النشاط، وإثراء التعليم، بل السؤال يكاد يكون شطر العلم. كان الشافعي يحرص على فتح باب الأسئلة والنقاش ولذلك نجد في كتبه الكثير مما سئل عنه حتى أن ذلك كان طابع درسه اليومي"وعند الانتهاء من كل محاضرة كان يفسح المجال لعرض الأسئلة والنقاش حول الموضوع". إن محاضرات الشافعي محاضرات راقية يسعى إليها معشر المعلمين والمتعلمين في القرن الواحد والعشرين وفي كل عصر حيث يتفاعل المعلم مع المتعلم ويبرز المعلم بقدراته ويتألق المتعلم بمواهبه. اعتبر الشافعي الأسئلة مدخلا للمحاورة والإثراء والمناقشة. وفي كتاب الأ م يقول الربيع بن سليمان:"هل يحج أحد عن أحد؟ قال نعم"."سألت الشافعي عن الطيب قبل الإحرام فقال جائز وأحبه ولا أكرهه".

ومن ذلك فالشافعي اعتمد فيما كتب على أسلوب المحاورة والنقاش حتى يوصل المعلومة وما استخدم السؤال في بداية بعض الأبواب لإثارة إهتمام القارئ، وفي كتاب الرسالة باب العلم يقول الشافعي"فقال لي قائل: ما العلم؟ وما يجب على الناس في العلم؟ فقلت له العلم علمان علم عامة لا يسع بالغاً غير مغلوب على عقله جهله. قال ومثل ماذا؟ قلت مثل الصلوات الخمس...".

وهكذا كتب الشافعي فصولا طويلة ومسائل كثيرة على هذا المنوال (سؤال وجواب) ومحاورات جاذبة. لكي يستخرج المتعلم والقارئ الإجابة بنفسه.

لقد انتهج الشافعي أسلوب الحوار في كتابه (الرسالة) وكان موفقاً في ذلك أيما توفيق، ولقد آثر هذا الأسلوب على غيره من الأساليب"لأن هذا الأسلوب هو أقدر الأساليب الكتابية على إيصال المعلومات الدقيقة إلى القارئ إذ حيث يكون غموض الفكرة يرد السؤال عن الجانب المراد إيضاحه منها (قلعة جي،٢١٩،٢٠٠١).

استخدام الصيغ السمعية والبصرية التخيلية

كان الشافعي في أثناء الشرح يلقي كلمات التنبيه، فالمستمع والقارئ لا شك أنه قد يسهو ويغفل أثناء التعلم والمعلم يعلم النقاط المهمه والمواضيع الجوهرية في موضوع درسه، فيلفت نظر المتعلم إليه بشيء يوقظه وينبهه. وحينما نقرأ كتب الشافعي نجد هذه اللافتات وهذه العبارات ترافقنا باستمرار كقوله"ألا ترى أن..."أرأيت لو قال قائل""أولا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال"ومن شأن هذا الأسلوب أن يدفع الأنسان إلى تخيل وتصور المسألة بعدما كانت تجريدية عقلية إلى حين كما أن ذلك يذكر المعلم والمتعلم باستمرار عملية التعلم والاتصال بينهما، وهو أسلوب نبوي أرشد إليه معلم البشرية عليه أفضل السلام كقوله"أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمساً".

أسلوب التعميمات والخلاصة

المعلم الناجح هو الذي يستطيع أن يجمع كل جزئيات درسه أو معظمها، ثم يصيغها بتعميم عام شامل بموضوع درسه، فعندما يخرج المعلم من جزئيات الدرس إلى حقيقة كلية يسهل على الطالب الفهم بعدما تجمعت خطوط وخيوط الموضوعات في يده، والمعلم المتمكن فقط هو الذي يستطيع أن يوظف هذا الأسلوب التربوي الرائع في درسه، وحينما نقرأ كتب الشافعي نجد مثل تلك التعميمات الدالة على ايمان هذا الرجل بهذه الوسيلة الفعالة. قال الشافعي"فكل ما كان فيه صيد في بئر كان أو في ماء مستنقع أو عين وعذب ومالحٌ فهو بحر"، وفي الرسالة"كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصاً بيناً: لم يحل الاختلاف فيه لمن علمه"."كل ما يحدث الرجل به فلها عنه ولم يستمر إليه السمود"."كل قاتل عمد عفي عنه وأخذت منه الدية فعليه كفارة". كل ما لم يكن فيه حكم فاختلاف اللفظ لا يحيل معناه"."كل ما لزمه اسم الخيل من العراب والمقاريف والبرازين فأكلها حلال".

فهذه قوانين كلية أحوج ما يكون إليها الطالب في نهاية درسه وخلاصة ونهاية بموضوع الدرس، حيث تتراكم المعلومات وتتسع الموضوعات فيجد الطالب قانوناً ضابطاً يوحد وينظم مجموع العارف.

أسلوب حسن ترتيب الأفكار

وضع الشافعي أصول مذهبه بوضوح واختصار، ثم لاحقاً فصل فيها وأصل قواعدها. قال الشافعي في الأم(١٩٩٠)"والعلم طبقات شتى: الأولى الكتاب والسنة إذا ثبتت السنة، ثم الثانية الاجماع فيما ليس فيه كتاب ولا سنة، والثالثة أن يقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا نعلم له بمخالفاً منهم، والرابعة اختلاف أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، والخامسة القياس على بعض الطبقات ولا يصار إلى شيء غير الكتاب والسنة وهما موجودان، وإنما يؤخذ العلم من أعلى"، وهكذا وضح منهجه في استنباط الأحوال وفق خطة انتهجها لنفسه ودونها واشتق منها المسائل ففتح بهذا السبق بابا عظيما لغيره مما يشهد له بغزارة الفكر، وقوة الاستنباط، ودقة الكتابة، وسعة الأفق، وفي باب شروط طلب العلم قال: أخي، لن تنال العلم إلا بستة... وقال عن مكاسب السفر: وسافر ففي الأسفار خمس فوائد...وهكذا يستوعب المتعلم النقاط الواردة في أصل الفكرة بشكل منظم لا لبس فيه ولا غموض وكلما وضحت المحاور، سهل التفهيم واستقام التعليم.

وبذلك يكون الإمام الشافعي قد أرسى سمات تربوية تعليمية استفاد منها من آتى بعده كالغزالي، وابن خلدون، وابن جماعة وغيرهم، ويجب على تربيتنا المعاصرة أن تستفيد منها أيضاً بما يعود بالفائدة على العملية التربوية التعليمية التعلمية برمتها.

المحور الخامس: التوظيف التربوي لفكر الإمام الشافعي

ربما الفكر التربوي عند الإمام الشافعي له أصوله الثابته ومنهجه القويم، وقد سبق إليه الشافعي بعد ممارسات عملية استغرقت جل حياته، وشغلت كل تفكيره ومن ثم فحياة هذا الرجل مادة علمية خصبة يمكن الاستفادة منها في دراسة الفكر التربوي الإسلامي، ذلك أن الشافعي منح من المؤهلات العلمية والاستعدادات الذكية ما جعله من أقرب العلماء إلى روح هذا الدين العظيم ومعرفة مقاصده السامية.

عالج الشافعي في آرائه التربوية الإنسان من جوانبه المادية والروحية وذلك يبين مدى ما في آرائه التربوية من شمول. والمطلع على كثير من آراء الشافعي يرى أنها تعد في هذا العصر من معطيات العلم الحديث، سواء في المجال التربوي أو النفسي أو الاجتماعي وتلك ميزة الفكر الأصيل كلما تقادم به الزمان ازداد جدة ونصاعة (ملك، ابوطالب،١٩٨٩،٣٧٨)، وبشكل عام فإن الوضوح الكامل مع الإيجاز غير المخل هما السمة الغالبة على كل آراء الشافعي في المجال التربوي.

إن التربية عند الشافعي ليست مبادئ تربوية فحسب ولا هي من نوع الخيال الجامح والتصور المثالي البعيد عن الواقع، بل هي في غالبها أفكار مستنيرة نابعة من فهم ومعايشة عمق الواقع وينابيع الشريعة الإسلامية، فلقد ترجم الشافعي نظريات التربية وأساليبها ترجمة صادقة بحياته واعتبر المعاينة (المعايشة) من أرقى درجات المعرفة، و"النظرية التربوية لا تكتمل ولا تنضج إلا بالممارسة العملية"(Tomlinson، ٢٠١٠، p٤٢). فالتربية عند الشافعي مرتبطة بالحياة، وكما قال:"ليس العلم ما حفظ، العلم ما نفع"(صالح،١٩٨٣،١٢٧)، ولعل أعنف انتقاد توجهها المدارس النقدية اليوم للتعليم أن مدارسنا لا تلامس احتياجات المتعلم (Palmer،٢٠٠١). إن التجربة الإنسانية النافعة بالغة المصداقية لأنها تربط بين فاعلية الفرد وبين مجريات الحياة.

التربية من أجل الخبرة ومن خلال الخبرة من المفاهيم التربوية المعاصرة والتى لها جذورها التاريخية، إن الخبرة والممارسة أثبت وأرسخ في الذهن والنفس من سماع المحاضرات وفي الحديث"ليس الحبر كالمعاينة".

عاش الشافعي جل نهاره وجانباً كبيراً من ليله يعلم ويربي ويدرس ويطبق أنجح الأساليب لطلابه في المسجد وفي الشارع وفي المنزل، وإذا كان الشافعي قد سجل خبراته في كتبه فقد طبقها وعاش لها ومات وفيا لها. إن إحياء مثل هذه المعاني في نفوس المعلمين، ثم المتعلمين من الضرورة بمكان. إن من عظمة هذا المربي أنه قدم مبادئ يسعد من خلالها الإنسان بحياة مستقرة هانئة ويتكيف مع من حوله وينمي مجتمعه ويشد من أزر أمته. للإمام الشافعي فضل السبق بتفرده في توضيح المنهج العلمي للتفكير ورسم حدوده وإبراز معالمه(ملك، ابوطالب،١٩٨٩،٣٨٦) وسجل

منهجه في استنباط الأحكام بوضوح وتفصيل (علي،٢٨٤،٢٠٠١)، مما يدل على أصالة الفكر العربي وقدرته الفذة على تنشئة عباقرة حضارة.

كثيرة هي الكلمات الجزلة التي يمكن أن تتضمنها مناهجنا الدراسية وأنشطتنا التعليمية، ومواقعنا على الانترنت مما حوتها سيرة الشافعي منها قوله:"طلب العلم أفضل من صلاة النافلة"، وقال من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم. وقال: ما تقرب إلى الله تعالى بشيء بعد الفرائض أفضل من طلب العلم. وقال: من طلب علماً فليدقق لئلا يضيع دقيق العلم، وقال: من لا يحب العلم لا خير فيه ولا يكون بينه وبينك صداقة ولا معرفة. وقال: زينة العلماء التوفيق، وحليتهم حسن الخلق، وجمالهم كرم النفس، وقال: زينة العلم الورع والحلم (النووي،٧٤،١٩٩٦)، وقال"إن العلم نور ونور الله لا يهدى لعاصي"،"من طلب العلا سهر اللَّيالي"،"ما حك جلدك مثل ظفرك"،"الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، ونفسك إن لم تشغلها بالحق، وإلا شغلتك بالباطل".

إن الاستفادة من شعر وحكم الإمام الشافعي وغيره من الأوائل في تدعيم الأفكار التربوية وبخاصة في وسائل الإعلام من صحف ومجلات وكتب ونشرات وفي البحوث التربوية تربي لدى الجيل أسلوب أدبي يرفع من مستوى الناشئة، وكذلك مؤسسات التعليم العالي مطالبة بكتابه أبحاث وقصص خاصة عن حياة الشافعي كمعلم ومتعلم كي يصبح نموذجاً للإقتداء (ملك، ابوطالب،٣٧٨،١٩٨٩). قال الجاحظ: نظرت في كتب هؤلاء النبغة الذين نبغوا، فلم أر أحسن تأليفاً من المطّلبي، ومن تعلق بشيء من بيان الشافعي صار محجاجاً(النووي،٧٨،١٩٩٦)، لقد كان من أفصح الناس وأعقلهم. يكاد المؤرخون يجمعون على عذوبة منطق الشافعي، وحسن بيانه وذكائه وقدرته الفائقة على الجدل وقوته في التفكير، ومهارته في الاستنباط (أمين،٤٢١،٢٠٠٥). ومما سهل لغة الشافعي"ورققها حفظه للقرآن الكريم وإدامة نظره فيه حتى اكتسبت لغته حلاوة في الفم وتوقيعا في السمع فشبهها القدماء بالسكر... وهي للعين كالبلور المذاب في انسياله وترقرقه"(بهجت،٧٤،١٩٨٦).

جمع الشافعي في بيانه بين رقة وجمال الأدباء، وبين دقة وجلال الفقهاء فجاءت لغته العلمية جزلة ومواعظه التربوية سلسة وامتزج ذلك كله بتبحر في علوم الدين وثقافة واسعة في العلوم الأخرى وهذا التكوين العلمي نفتقده في المشهد الثقافي المعاصر، فالمؤسسات تركز إما على علوم عصرية أو علوم دينية فتأتي مخرجات التعليم الجامعي متواضعة إن لم تكن ضعيفة. معظم من يتميزون بالجمع بين الفضيلتين التعليم المدني والديني، وصلوا إلى ما وصلوا إليه بجهود ذاتية بعيدا عن مؤسساتهم التعليمية، إذ أن التعليم ما يزال يشهد عزلة بين الخطين فكثير منها تدور في جوهرها في فلك التعليم المدني ويفتقد للأصالة، بينما تقبع المؤسسات التعليمية الدينية في عزلة عصرية

بسبب عدم تطوير أساليبها ونظمها التعليمية بما يتواكب مع احتياجات العصر وبما يعكس روح الدين ومقاصده.

وبما أن التربية الأخلاقية فريضة دينية وضرورة عصرية فإنها حقيقة لب وصلب التربية الإسلامية بأبعادها المتنوعة وآفاقها الواسعة. إن التّربية الخلقية هي أساس التربية عند الشافعي فالقيم الأخلاقية أساس المناظرة والنِقاش والتَّعامل مع النَّاس، ولم تغفل التربية الخلقية عند الشافعي عن الدَّعوة إلى الكلمة الطيبة، وحفظ اللِسان، يقول الإمام:"إنَ الأفئدة مزارع الألسن، فازرع الكلمة الكريمة فإنَّها إن لم تنبت كلّها نبت بعضها"(فاطمه،١٩٨١،١٥٧)، وتقوم تربية الشافعي على الركائز الآتية:

١. الاعتماد على الايمان.
٢. الرِضا بقضاء الله وقدره.
٣. اتِباع الآداب والقيم السَّليمة أثناء المناظرة.
٤. الترغيب في خصال الخير.
٥. التَّنبيه على ما ينفع مع النَّاس بحسب الطبائع.
٦. كشف ما يجافي سنن العلم و ينافي حسن الخلق.

وعلى مستوى التعليم يتجلى دور المعلم في بث الهمة العالية نحو التعليم فالمعرفة المنهجية تبدأ مع المعلمين (Brozo and fisher، ٢٠١٠، p. ٧٥). نجح الشافعي في المجال التربوي حيث"غرس في نفوس تلاميذه اتجاهات ايجابية كان لها أثرها في تنشيط الفكر الإسلامي، ومن أبرز هذه الاتجاهات، حب التجديد والابتكار، وعدم الوقوف عند حد معين من المعرفة (التعلم المستمر)، ووضع بينهم وبين الجمود الفكري حاجزا كثيفا"(التميمي،٢٠٠١،٥١٤).

وكما تحدث الشافعي عن العقل والفكر وسبل التعلم تناول في المأثورات الواردة عنه قضايا الدعاء والصلاة والايمان والذكر لأنه آمن أن التربية الروحية ملاذ آمن للمخلوق يقيه وهج المصاعب ويقدم له زادا ضروريا في رحلة الروح في الحياة الصاخبة وأمواجها الباغتة.

وعلى مستوى المنهاج الدراسي، لقد حرص الشافعي على دراسة العلوم المختلفة والتبحر بها حتى يصون الأنسان نفسه ويوسع مداركه فهو يؤمن أن"من تعلم القرآن عظمت قيمته ومن تكلم في الفقه نما قدره ومن كتب الحديث قويت حجته ومن نظر في اللغة رق طبعه ومن نظر في الحساب جزل رأيه ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه"(الذهبي،٢٠٠٨،٢٤)، وقال"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب"(الشافعي،٢٠٠٨، ٧)، وكان يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب ويلوم أهل عصره قائلا"ضيعوا ثلث العلم ووكلوه إلى اليهود والنصارى"(الذهبي،٢٠٠٨،٥٧). تسير التوجهات

الحديثة في باب العلم نحو خلق مواطن على حظ من المعارف الأولية العلمية (تريفيل،٢٧٢،٢٠١٠).

ومن العبارات التي تنسب للشافعي:

كل العلوَم سوى القرآنَ مشغلة إلّا الحديث وعلم الفقه في الدينَ

العلمَ ما كان فيه قال حدَّثنا وما سوى ذاك وساوس الشياطينَ

وعلق الفقي(٢٠٠٠،٥٢) على هذا البيت بأن الشافعي خشي من الخروج من الدين باسم الفلسفة وغيرها وهذا بعيد والصحيح أن العبارة بأكملها قلقة فالشافعي نفسه يحث على تعلم العلوم العقلية والنقلية والبيت المذكور يتعارض مع الثابت المتواتر عن الشافعي في طلبه لعلم اللغة وحثه على طلب علم الطب والحساب والأنساب. وإذا كان التراث التربوي في المذهب الشافعي يقتصر كلمة العلماء على علماء الشرع فإن بعض التربويين اليوم يرون توسيع النطاق وإدخال أصحاب التخصصات الأخرى، وعلى نفس المنهاج فإذا كان الشافعي يرضى بالقليل من القوت لمن يتعلم فإن الأمر اليوم قد لا يكون مقبولا عند بعض المربين فالأفضل لطالب العلم اليوم أن يعيش في بيئة تعينه فهناك علاقة بين التحصيل الدراسي والوضع الاقتصادي في كثير من الثقافات (أبو شوشة،١٥٠،٢٠٠٨)، ولو عدنا إلى مأثورات الشافعي نجد أن طالب العلم يحتاج إلى ثلاث خصال: أولها حسن ذات اليد، والثانية طول العمر، والثالثة يكون له ذكاء.

فالشافعي الذي اقتبس من مشكاة النبوة ومن القرآن السنة يؤكد على أهمية ربط العلم بالعمل والواقع فالعلم عنده عبادة، والعلم النافع هو الذي يحقق السعادة والاستقرار للإنسان، وكتابات الإمام الشافعي دلت على أن الاسلام منهج حياة من خلال ربطه بين الفقه وأصولة وبين التربية، ولقد أكد علماء الشافعية على أن كل من العلوم الطبيعية والحرف والصناعات فرض كفاية (أبو شوشة،٢٠٠٨) مستفيدين من آراء إمامهم، كما أن آراء الإمام الشافعي التربوية تعد من معطيات العلم الحديث وذلك في المجال التربوي والنفسي والإجتماعي وغيرها.

أبرز النتائج

١. تضافرت عدة عوامل في عملية تكوين العقلية العلمية لدى الشافعي منها أنه عاش عصر القوة والاستقرار النسبي في الدولة العباسية حيث محفزات العطاء العلمي، وأنه استفاد من أساتذته حق الاستفادة وكان على وعي تاريخي كامل بمشروعه الفكري كناصر للسنة النبوية رواية ودراية، وكأول مدون لأصول الفقه فحقق قيادة فكرية للأمة وأعد طلبة يحملون فكره الناصع عبر العصور.

٢. شجع الشافعي الاجتهاد ووضع قانونا عاما (أصول الفقه) يحد من الوقوع في الخطأ، ويفيد الباحثين في طريق المعرفة القائمة على أصولها الدينية والمنطقية السليمة لضبط الاستنباط وفتح آفاق البحث.

٣. تناول فكر الإمام الشافعي قضايا تربوية تدل على رسوخ قدمه في التربية يستدل منها بايجاز بليغ هدف التربية ووسائلها وشروط طالب العلم.

٤. من قواعد التعليم الإيجاز عند التفهيم وتقرير القواعد ووضع التعريفات والتعميمات، والإسهاب عند الشرح والموعظة.

٥. وضع الإمام الشافعي في كلمات قليلة سر قوة المعلم المتفوق والقدوة الحسنة، وتوجيه المتعلم برفق نحو القرآن الكريم والعلوم النافعة، والتدرج في التعليم، وايجاز التوجيهات.

٦. اعتنى الإمام الشافعي بالمناظرة عناية فائقة وجعل حسن الخلق أساس التباحث من أجل المنفعة المشتركة والارتقاء بالفكر من جهة، وتجنبا للتكلف من غير حاجة، والمراء والمداهنة من جهة أخرى.

٧. ليس كل ما روي عن الشافعي صحيح، وليس كل صحيح عنه وعن غيره يؤخذ بلا تمحيص، بل لا بد من الفحص الدقيق وانتقاء الصحيح وتبني ما استقام مقصده وحسن معناه، وناسب متطلباتنا الراهنة وتطلعاتنا القادمة.

التوصيات والمقترحات

١. توعية أفراد المجتمع بضرورة الإستفادة من خبرات الماضي وجعل ايجابياته وسيلة لفهم الحاضر واستشراف المستقبل والتخطيط له.

٢. تعريف الناشئة بأخلاقيات طالب العلم عبر برامج إعلامية عالية التقنية تحاكي التطور العصري وقادرة على جذب الأنظار والتأثير في النفوس.

٣. تقديم دورات تدريبية للمعلمين والمعلمات لبيان أفكار الشافعي، وسبل توظيفها في رفد الواقع التعليمي والتربوي.

٤. تقديم دراسات تربوية موسعة باللغة الأجنبية عن الشافعي ونشرها على شبكات الانترنت للتعريف بابداعات الحضارة العربية الإسلامية وبصانعي الفكر الإسلامي.

٥. إجراء دراسة علمية تختار تصوص شعرية ونثرية وآراء تربوية من تراث الإمام الشافعي وتدرس في المؤسسة التعليمية بما يناسب المرحلة الأساسية والثانوية والجامعية.

٦. تصميم برنامج تعليمي تأديبي يقوم على آراء الإمام الشافعي التربوية وخاصة فيما يتعلق بالعقاب ومعرفة فاعليته.

٧. دراسة رواد الفكر في إطار التراث التربوي العالمي والحذر من عزل التراث وتقسيمه في دائرة ضيقة وأدبيات محدودة.

٨. تأليف موسوعة مصورة للطفل تتضمن أعلام التربية الإسلامية والمفردات التراثية ذات الصلة بتعليم وتربية الطفل مع التركيز على أخلاقيات طالب العلم من الجنسين.

المراجع العربية

١. ابن خلكان(٢٠٠٩). وفيات الأعيان. موقع الوراق: http://www.alwaraq.net

٢. ابن عساكر(٢٠٠٣). تاريخ دمشق. بيروت: دار احياء التراث العربي.

٣. أبو شوشة، محمد ناجح(٢٠٠٨). التراث التربوي في المذهب الشافعي. مصر :العلم والايمان.

٤. أبوزيد، نصر حامد(١٩٩٦). الإمام الشافعي وتأسيس الأيديولوجية الوسطية. ط٢،القاهرة مكتبة مدبولي.

٥. الأصفهاني(٢٠٠٩). حلية الأولياء. موقر الوراق: http://www.alwaraq.net

٦. أمين، احمد(٢٠٠٥). ضحى الإسلام. ط١، بيروت: دار الكتاب العربي.

٧. البغا، مصطفى (٢٠٠٧). مضامين تربوية إسلامية في الإسلامي. عمان: عالم الفكر الحديث.

٨. البغدادي، احمد بن علي بن ثابت(١٩٩٧). تاريخ بغداد. بيروت: دار الكتب.

٩. البغدادي، احمد بن علي بن ثابت(١٩٩٨). الفقيه والمتفقه. المكتبة العلمية.

١٠. البوطي، محمد سعيد رمضان(٢٠٠١). أثر الشافعي في منهج التفكير الإسلامي قديماً حديثاً. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

١١. التميمي، عز الدين الخطيب(٢٠٠١). آثار المذهب الشافعي في العالم الإسلامي وخارجه. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

١٢. بحري، منى يونس، قطيشات، نازك عبد الحليم (٢٠٠٩). في التربية المقارنة، دراسة نوعية، ط١، الاردن: دار الصفاء.

١٣. بروكلمان، كارل (ب.ت.). تاريخ الأدب العربي. الجزء الثالث، نقله إلى العربية: عبدالحليم النجار. ط٤،القاهرة دار المعارف.

١٤. بهجت، مجاهد مصطفى(١٩٨٦). شعر الشافعي: الإمام الفقيه عبدالله محمد بن إدريس الشافعي. العراق.

١٥. تريفيل، جيمس (٢٠١٠). هذا العلم. ترجمة شوقي جلال. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنوف والآداب.

١٦. الخوري،أنطون(ب.ت). أعلام التربية: حياتهم وآثارهم.

١٧. الدسوقي، محمد(٢٠٠١). الجانب الاقتصادي في فقه الإمام الشافعي. في الإمام الشافعي فقيها ومجتهدا. بيروت المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

١٨. الدقر، عبدالغني(١٩٨٨). الشافعي من أعلام التربية العربية الإسلامية. الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخايج.

١٩.الدقر، عبدالغني (٢٠٠٩). محمد بن إدريس الشافعي. ط١، دمشق: دار القلم.

٢٠. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(٢٠٠٨). سير أعلام النبلاء. أشرف على تحقيق الكتاب وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط. ط٢، بيروت: مؤسسة رسالة.

٢١. الزحيلي، وهبة(٢٠٠٥). الشافعي (الإمام محمد بن إدريس). في الموسوعة العربية، المجلد الحادي عشر. ط١، الجمهورية العربية السورية: رئاسة الجمهورية: هيئة الموسوعة.

٢٢. السبكي(٢٠٠٩). طبقات الشافعية. موقع الوراق http://www.alwaraq.net

٢٣. ديورانت، ول (٢٠٠٤). قصة الفلسفة من أفلاطوف إلى جون ديوي. ط ١، ترجمة:(فتح الله محمد المشعشع). بيروت دار المعارف.

٢٤. السخاوي(٢٠٠٣). المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة. بيروت: دار الكتب العلمية.

٢٥. السويدان، طارق(٢٠٠٧). الإمام الشافعي السيرة المصورة. الكويت: الابداع الفكري.

٢٦. الصالحي، محسن حمود، وملك، بدر محمد (٢٠٠٧). مواصفات الأزواج في عيون الزوجات رؤية تربوية من حديث أم زرع. ط١، الكويت: اقرأ.

٢٧. الشافعي، محمد بن إدريس(١٩٩٠). ديوان الشافعي. تحقيق: محمد عبدالمنعم خفاجي. بيروت عالم الكتب.

٢٨. الشافعي، محمد بن إدريس (٢٠٠٨). الرسالة في أصول الفقه. وقد طبع مع الجزء الأول من كتاب الأم في المطبعة الأميرية بالقاهرة سنة (١٣٢١هـ=١٩٠٣م)، ثم نشره محققا العلامة المحدث أحمد محمد شاكر سنة (١٣٥٨هـ=١٩٣٩م). القاهرة دار الآثار.

٢٩. الشافعي، محمد بن إدريس (١٩٩٠). الأم. الفقة الاسلامي. ط١، القاهرة، دار المعرفة.

٣٠. الشنقيطي، محمد(١٩٩٦). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٣١. الطويل، السيد رزق (٢٠٠١). حياة الإمام الشافعي. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت: المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

٣٢. الفقي، سعد كريم (٢٠٠٠). ديوان الإمام الشافعي. المنصورة: دار اليقين.

٣٣. القزويني، علاء الدين السيد أمير محمد(١٩٨٦). الفكر التربوي عند الشِيعة الإمامية. ط٢، الكويت: مكتبة الفقيه.

٣٤. القواسمي، أكرم يوسف عمر(٢٠٠٣). المدخل إلى مذهب الإمام الشافعي. ط١، الأردن: دار النفائس.

٣٥. الكندري، لطيفة حسين وملك، بدر محمد (٢٠٠٨). علم أصول التربية. ط٣، الكويت: مكتبة الفلاح.

٣٦. الفرا، اسماعيل صالح(٢٠٠٩).النظريات التربوية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة، يوم دراسي بعنوان دور الحاسوب في فعالية العملية التعليمية، جامعة القدس المفتوح– منطقة خان يونس التعليمية.

٣٧. العياصرة، وليد رفيق (٢٠١٠). التربية الإسلامية واستراتيجياتها العملية.ط١،الأردن دار المسيرة.

٣٨. المالكي، عبدالحفيظ (٢٠٠٩). تصور مقترح لوضع خطوات إجرائية لوقاية فكر الشباب من الانحراف في ضوء التربية الإسلاميةرسالة دكتوراة.مجلة البحوث الأمنيةُ المملكة العربية السعودية، مركز البحوث والدراسات كلية الملك فهد الأمنية المجلد١٨ العدد٤٤.

٣٩. المنجد، محمد صالح (ب.ت). عبر وعظات من حياة الإمام الشافعي.

٤٠. النقيب،عبدالرحمن(٢٠٠٤). المنهجية الإسلامية في البحث التربوي نموذجا النظرية والتطبيق. ط١، القاهرة: دار الفكر العربي.

٤١. النووي، يحيى بن شرف (١٩٩٦). تهذيب الاسماء واللغات. بيروت: دار الفكر.

٤٢. رضا، محمد جواد(٢٠٠٩). جامعة الكويت...وتسطيح العقل الثقافي: دراسة حالة. الكويت الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية.

٤٣. سعيد، إدوارد (١٩٩٦). تعقيبات على الاستشراق. ترجمة صبحي حديدي، ط١، بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

٤٤. شما، نضال(٢٠٠٠). الشرح والتفسير لوصايا الإمام الشافعي وديوانه. دمشق: مكتبة دار الصفا.

٤٥. صالح، حكمت(١٩٨٣). دراسة فنية في شعر الإمام الشافعي. موصل: الزهراء الحديثة.

٤٦. طعيمة، رشدي (٢٠٠٨). تحليل المحتوى في العلوم الإنسانية مفهومه، أسسه، استخداماته. القاهرة: دار الفكر العربي.

٤٧. عبدالرحيم، محمد (١٩٩٥). ديوان الإمام الشافعي. بيروت: دار الفكر.

٤٨. عبدالعزيز، عبد الونيس زغلول (٢٠١٠). نحو تأصيل إسلامي للمصطلحات التربوية. موقع دعوة١٨١١=&info٦=http://www.daawa.ma/affdetail.asp?codelangue

٤٩. عطار، ليلى عبدالرشيد (٢٠٠٤). بعض القواعد الفقهية وتطبيقاتها في التربية الإسلامية. مجلة التربية، السنة٧ العدد١١، الجمعية المصرية للتربية المقارنة والإدارة التعليمية.

٥٠. علاونه، شفيق وآخرون(٢٠٠٨). طرائق التدريس والتدريب العامه، رقمه(٥٢٠٤)، كلية التربية، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.

٥١. علي، سعيد اسماعيل(٢٠٠٦). الفكر التربوي الإسلامي وتحديات المستقبل. ط١، القاهرة: دار السلام.

٥٢. علي، علي عيسى(٢٠٠١). دور الدراسة الشافعية في خدمة السنة النبوية. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت: المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

٥٣. عماشة، سناء حسن(٢٠٠٩).القيم السلوكية والاتجاهات اللازمة لتحسين النشء ضد الجريبة وإتلاف الممتلكات. مجلة البحوث الأمنيةُ المملكة العربية السعودية، مركز البحوث والدراسات بكلية الملك فهد الأمنية المجلد١٨ العدد٤٤.

٥٤. عمر، سيف الإسلام (٢٠٠٩). الموجز في منهج البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية. ط ١، دمشق دار الفكر.

٥٥. فاطمة،علي محمد (١٩٨١). الفكر التربوي عند الإمام الشافعي. رسالة مقدمة لكلية التربية للحصول عل درجة الماجستير بشبين الكوم: جامعة المنوفية.

٥٦. فلمبان، زينب جمال الدين (١٩٨٨). مبادئ تربوية من ديوان الإمام الشافعي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، إشراف محمد خير عرق سوسي.

٥٧. قلعة جي، محمد رواس (٢٠٠١). تأسيس الشافعي علم الأصول. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت: المنظمة الإسلامية للتربية (إيسيسكو).

٥٨. مايو، عبدالقادر(٢٠٠٠). شرح ديوان الأمام محمد بن إدريس الشافعي مؤسس على القرآن القرآن. مراجعة احمد عبد الله فرهود. دمشق: دار الحكمة.

٥٩. ملك، بدر محمد، وابو طالب، لطيفة حسين(٢٠٠٩). الفكر التربوي عند معلم الكويت الأول الشيخ يوسف القناعي. الكويت: المجلة التربويةُ العدد٧٦، المجلد١٩.

٦٠. ملك، بدر، والكندري، لطيفة(٢٠٠٦).تراثنا التربوي ننطلق منه ولا ننغلق فيه. ط٢،الكويت: مكتبة الفلاح.

٦١. منظمة الصِحة العالمية(٢٠٠٩). اليوم العالي لمنع الانتحار. موقع منظمة الصحة العالية http://www.who.int

٦٢. نصرالله، أحمد) ٢٠٠٨). مختصر صحيح الجامع الصغير للسيوطي والألباني .ط١، ألفا للنشر– والتوزيع.

٦٣. يعقوب، إميل بدير (ب.ت). شعراؤنا ديوان الإمام الشافعي. بيروت: دار الكتاب العربي.

٦٤. يونس، عباس(٢٠٠١). لغة الإمام الشافعي وأثره في نتاجه الفكري والأصول. في الإمام الشافعي فقيهاً ومجتهداً. بيروت: النظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافه(إيسيسكو).

أهم المراجع الأجنبية

65.AL-Hassani، S. T. S (2007). 1001 invention: Muslim Heritage in our world. Great Britain: Foundation for science technology and civilization.

66.Barry، C (2010). From great texts – to great thinking. In educational leadership. Vol. 67 No 6، ASCD. USA.

67.Brozo، W. G & Fisher، D (2010). Literacy starts with the teachers. In educational leadership. Vol. 67 No 6، ASCD. USA.

68.Challoner، Jack (2009). 1001 Inventions That Changed the World. London: Quintessence.

69.Covey، S (2008). The 7 habits of happy kids. New York: Simon & Schuster Books for Yung.

70.El Shamsy، Ahmed (2008). Early Islamic Legal Theory: The Risala of Muhammad Ibn Idris Al-Shafi'i. Journal Title: The Journal of the American Oriental Society. Volume: 128. Issue: 1. Page Number: 185+. COPYRIGHT 2008 American Oriental Society.

71.El Shamsy، Ahmed (2008). Rethinking Taqlid in the Early Shafi'i School. The Journal of the American Oriental Society. Volume: 128. Issue:1.

72.Friedmann، Yohanan (2003). Tolerance and Coercion in Islam: Interfaith Relations in the Muslim Tradition. Cambridge University Press. New York

73.Muslim Heritage (2010). 1001 Inventions and The Library of Secrets. http://www.islamonline.net/arabic/index.shtml

74.Palmer، J O (2001). Henry Giroux. In Fifty modern thinkers on education: from Piaget to the Present. Palmer، J O (ed). London: Routledge.

75.Ravi، M (2009). Teaching through the heart. New Delhi. Viva Books.

76.Razik، T. & Swanson، A. (2000). Fundamental concepts of educational leadership (2nd ed.). Columbus، OH: Merrill/Prentice-Hall.

77.Shāfiʿī، Abū ʻAbd Allāh (Muhammad ibn Idrīs) ash-. (2010). Encyclopaedia Britannica. Encyclopaedia Britannica Ultimate Reference Suite. Chicago: Encyclopaedia Britannica.

78.The Columbia Encyclopedia (2009). Shafi'I، Al-. Sixth Edition. Columbia University Press. New York.

76.Tomlinson، C. A (2010). One kid at a time. In educational leadership. Vol. 67 No 5، ASCD. USA.

79.Ziadeh، F (1995). Sunni school of law. In J. Esposito (Ed.)، The Oxford encyclopedia of the modern Islamic world (vol. 2. pp. 327-331). New York، NY: Oxford University Press.